دولة معين اليمنية

لشريا منقوش ★

هذه دراسة عن احدى دول الحضارة اليمنية القديمة (دولة معين) والتي تعايشت على ارض جنوب الجزيرة العربية قبل الميلاد في فترة ازدهار تلك المنطقة وتمدنها . ومعين مملكة من الممالك اليمنية الخمس التي عاشت فترة من الزمن تقاتلت فيها وتمازجت وانصهرت معا لتكون في نهاية المطاف دولة اليمن الواحد (مملكة سبأ ، وادي ريدان ، وحضرموت ، ويمنيات والتهائم) .

حيثيات التقدير بأسبقية معين :

يقدر كثير من العلماء والمؤرخين والمهتمين بالتاريخ اليمني القديم ان الدولة المعينية هي من اقدم الممالك اليمنية قبل الميلاد لاسباب يمكن ايجازها بعدد من النقاط تجعل التقدير لهذه القضية الهامة اقرب الى المعقول ، خاصة وان التاريخ اليمني القديم مجهول في معظمه ، على ان المنطق العلمي سوف يوفر لنا كثيرا من المعلومات المجهولة او الغامضة بدلا من الاعتماد على التخمين الذي لجأ اليه بعض العلماء . كما يذكرنا بذلك البروفسور (بيستون) فيمحاضرته التي القاها ابان انعقاد « ندوة الحضارة اليمنية (١) » ، ذلك ان انتهاج التخمين كأسلوب علمي لمعرفة وتحليل اية قضية تاريخية سوف يضر ولا شك بهذه القضية وسيجعل كثيرا من القيم والقضايا التاريخية الهامة في حياة الناس مجرد راي فردي ، لا كحقيقة تجمع الآراء حولها او تقف في مواجهتها الآراء المضادة لها ، المتناقضه معها .

ان تاريخ الانسانية يذكرنا ان الانسان في مرحلة متقدمة قد اعتمد على الطبيعة وعطاءاتها . وعندما تطور الانسان بفضل الحاجة بدأ يعتمد على قواه الذاتية الى جانب الطبيعة ، ولان منطقة الجوف ذات عطاء وافر بقليل من الجهد الانساني على عكس بقية المناطق اليمنية ذلك ان منطقة الجوف كما يصفها « الهمداني » **(منفهق من الارض بين جبل نهم الشمالي الذي فيه انف اللوز واوبن الجنوبي الموصل بهيلان دن بعد .. ، وسعة ما بين الجبلين مرحلة في**

---

* مشرفة ابحاث في مركز البحوث التربوية التابع لوزارة التربية والتعليم بجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . عملت من قبل باحثة في المركز اليمني للابحاث الثقافية ، كما عملت مع لجنة المخطوطات التابعة للجامعة العربية في المحافظة الخامسة. عضو لجنة اعداد منهاج المرحلة الثانوية في التاريخ اليمني القديم . شاركت في ندوة الحضارة اليمنية التي عقدت في عدن سنة ١٩٧٥ بدراسة حول التوحيد الالهي .

اسفل الجوف ، وطوله الى اصحر واشراف خبش مرحلة ونصف ، ويفضي اليه اربعة اودية كبار) .

« فاولها الخادر مخرجه مما بين جنوبه ومغربه ، ومساقي الخادر من فروع مختلفة فاولها من مخلاف خولان في شرقي صنعاء فيصب اليه غيمان وما اقبل من عصفان وثريان وضبوه ، وحزيز وهو واد يصب مع سالك ودبرة ووعلان وخدار الى الحقلين والسهلين ونواحي بقلان واعشار ما اقبل من اشراف نقيل السود فبيت بوس فجبل عيبان جبل نقم وما بينها من حقل صنعاء وشعدب ، ووادي سعدان ووادي السر ، ومطرة وفيها اودية كثيرة فجبل ذباب فزجان فشبام القصة تمرا مياه هذا المواضع الى خطم الغراب ووادي شرع من اسفل الصمع . وحدقان ويلقي هذه الاودية سيل مخلاف مأذن من حضور المعلل وحقل سهمان ويعوم وبيت نعامه وبيت حنبص ومحيب ومسيب وحاز وبيت قرن وبيت رفع والبادات وريعان فوادي ضهر فعلمان فرحابه ، فالرحبة الى حدقان وخطم الغراب ، ثم من المصانع وشبام اقيان وخلقه وحبابة وحضور بني ازد وبيت افرع وقاعة وهند وهنيدة والسبون عن آخره وغولة مثل ناهرة وضباعين ولغابة والحينة وسوق وخزامر وذي عرار وبيت ذانم وبيت شهير وحمدة وعجيب فصيحة فمساك فالاخباب وناعط وبلد الصيد وبه اودية ظاهر همدان مثل نياعة وذي بين وما يسقيها من ظاهر الصيد ، فيكون هذه المياه الى ورور ويلقاها سيل العقل والكساد وصولان واكانط ومشام النخلة ووادي محصم ، وما يسقط اليه من مدر واقوه والخشب والميج وبلد نيبان فيمر بالقحف وهران والناجي ويلتقي بمياه الخادر التي هبطت من صنعاء ومخاليفها فتلتقي بالمناص من يصبان بعمران وتعمل من ارض الجوف » (٢) .

وعلى حد راي بعض العلماء فقد قدم عهد نشوء الدولة المعينية على الدول اليمنية الاخرى ، ذلك ان تلك الدولة تشأت وتكونت في اخصب منطقة

يمنية ... في الجوف اليمني الغنى بالتربة المعطاء الكثير بمياهه سواء الامطار او العيون والآبار والاودية فقد كانت تسقية مياه (الخادر) ذلك ان الحضارة اليمنية لم تتمتع بما تمتعت به بقية الحضارات الانسانية من انها عظيمة موفورة المياه طوال سنين تاريخها مكنتها من ان تقيم قاعدتها المادية الزراعية والتجارية على اساس صلب غير مهدد بالانقطاع او الاضمحلال . فقد حرمت الحضارة اليمنية من هذا العطاء العظيم من الطبيعة ، الا ان منطقة الجوف اليمنية استعاضت بخصوبة تربتها ووفرة مياهها عن مياه الانهار الكبيرة التي قامت بجانبها تلك الحضارات . كما تمتعت بخصائص مناخية مميزة لها عن اية منطقة يمنية اخرى . ومن هنا فان احتمال استقرار الانسان فيها قبل اية منطقة يمنية

اخرى وما تبع ذلك الاستقرار من ازدهار وحضارة وتمدن يرجح الآراء التي ترى في ازدهار معين كمملكة اقدم من ازدهار وتمدن اية منطقة يمنية في الاقليم اليمني .

معين والتاريخ :

لقد قامت مملكة معين بين الممالك اليمنية الثلاث شمال بلاد سبأ وشمال الارض القتبانية وتداخلت مع حضرموت في حدودها الشرقية في الربع الخالي كما يذكر ذلك المؤرخ اليوناني (سترابون) وكما يذكرها (بلينوس) في كتاباته . حيث حدد رقعتها بين الاراضي الحضرمية والسبأية . اما اشهر المؤرخين اليونان (بطليموس) فقد تحدث عنها بما فيه الكفاية .

كما ورد ذكرها في التوراة حيث يشير التكوين العاشر من الاصحاح العاشر « وبنو كوش سبأ وحويله وسبقه ورعمة وسبتكا . وبنو رعمة شبا وردان . » كما يأتي ذكرهم من ذكر مستوطنتهم التجارية (الددان) في الاصحاح الخامس والعشرين « وولد يقشان سبأ وددان » . « وكان بوددان اشوريم ولطوشيم ولاميم » وفي مواضع اخرى من التوراة ذكرت معين بلفظة«معينم» (٣) عندما كان يأتي ذكر جيران بني اسرائيل .

ومرت عليها فترة من الزمن تلاشى اسمها من افواه الناس ومسامعهم حتى ذكرهم بها العلامة اليمنى والمؤرخ الكبير « ابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب بن يوسف المشهور بالهمداني » حيث ذكر في الاكليل الجزء الثامن مدن معين المشهورة في التاريخ » ومن محافد اليمن براقش ومعين ، وهما بأسفل جوف ارحب في اصل جبل هيلان وهما متقابلتان فمعين بين مدينة ريشان بين درب سراقة موضع آل يوش سعيد بن مراد وهي خراب خاوية على عروشها (٤) . »

« واما براقش فقائمة ، وهي في اصل جبل هيلان وكانت لمرهبة وكانت عذر بن سعد بن اصبا تسكن بها قديما في براقش فتحولت الى شعب المعرب ، ومطرة ، واسماء اهلها مكتوبة في حجارتها بالمسند ، ويسكن براقش بنو الادبر من بلحرث ابن كعب ومراد » .

ولقد افرد الهمداني لمعين ومدنها صفحات من الاكليل نثرا وشعرا على لسان شعراء يمنيين تغنوا بمجدها في ايامه تلك فقال ابو علكم المراني وهو من همدان :ـ

براقش ومعين يبنون واضرعه والشيد من هكر ناهيك بنيـــانا

وناعط نحـــن شيدنا معاقلها ومأذنا اوعلا نشقا ونوفانا (٥)

ومرة ثانية اختفى اسمها حتى على دارسي التاريخ لفترة ليست قصيرة ، امتدت من القرن الثالث الهجري حتى الثالث بعد الالف منه .

وفي القرن الماضي فقط بدأ اسم معين في البروز بعد ان اختفى كل تلـــك المدة . وبعد ان اكتشفت كثير من الاثار والنقوش والمواقع الاثرية في العالم العربي بصورة عامة ، وفي المنطقة اليمنية على وجه الخصوص ، فقدم لزيارتها عدد من السياح الاجانب (كهومل) و (هاليفى) الذي عثر على عدد من نقوشها ، رقمها وسماها باسمه فعرفت بعد ذلك (HALVEY) (٦) .

ولقد قدم العلماء الاوائل ادلتهم واثباتاتهم التاريخية ، والتي ترجع تاريخ نشوء دولة معين الى الالف الثانية قبل الميلاد ، مستدلين بما وجد من نقوش معينية في (الديدان) وحيث يرون انها قد حكمت كل الحجاز ووصلـــت حتى شماله ، لتأسس لها هناك مستوطنة تجارية في (العلا) والتي كـــانت تسمى يومئذ بـ (الديدان) ، وهي منطقة متاخمة لارض (ادوم) التي جاء ذكرها في التوراة وتتاخم (الديدان) (٧) من ناحية الجنوب الشرقي لها ، ويعتقد اولئك العلماء انها كانت تحكم من قبل ملوك معين بواسطة حكام يحملون اسمهم ، ويطلق عليهم لقب (كبير) (٨) ، وهو المسئول امام السلطة العليـــا باعتباره ممثلها والمتكلم باسمها عن المحفد ، اي يأتي في قمتها الهرمية كبير يتولى الحكم بأسم الملك واله الدولة ، كما كان ذلك في مستوطنة (الديدان) قبل الميلاد بالف أو يزيد حتى بدأ الضعف يدب في جسد الدولة المعينية بعد استيلاء دولـــة سبأ على المناطق الشمالية وعلى معين .

٢ ــ نصوص آشوريـــة :

ومن ضمن الحجج والبراهين التي اوردوها على قدم الحضارة اليمنية والمعينية بالذات ، ان هناك نصوصا آشورية يرد فيها ذكر « مصر » وهـــي التسمية التي يرى العلماء انها تعنى مصر العربية وعرفت في الكتابات القديمة (معن مصران) (٩) وهي من مناطق النفوذ المعينية التي بقي فيها نفوذ المعينيين حتى بعد ان تقلص في الحجاز . وتقع (معن مصران) هذه في موضع معـــان الاردنية حاليا شمال الحجاز . وان هذا النص الذي عرف بنص (تغلا تبلسر ــ الثالث) (١٠) تعود الكتابة فيه حسب تقديراتهم الى سنة ٧٣٤ ق.م. وقـــد كتب النص على اثر تعيين حاكم على (مصرى) اسمه (ادب ايل) . كما كتب

نص آخر يحمل اسم قائد آشوري عرف بـ (سبعة) وقد عين من قبل الملك الآشوري (تغلا ــ تبلسر) كقائد للمنطقة التي هي في الاصل مستوطنة معينية حصلت حولها صراعات كبيرة نتيجة موقعها التجاري الهام بين شمال الجزيرة وجنوبهـا .

ومن المحتمل ان يكون الآشوريون قد استطاعوا الاستيلاء عليها لفترة من الزمن بعد ان اغتصبوها من المعينيين ، وعينوا لهم في هذه الفترة حكاما وقوادا عسكريين مثلوا سلطتهم هناك . اما تسميتها بـ (معن مصران) فهي تسمية مأخوذة من شطريها ، الاول من اسم معين اليمنية ومصران من مصر الافريقية ، ولكونها واقعة بين معين اليمنية ومصر الافريقية وتمييزا لها عن البلدين فقد سميت بذلك الاسم المزوج . وقد كان ذلك على راي فيلبي قبل الميلاد بستة قرون حين كانت الحضارة الآشورية في قمة مجدها تحقق الانتصارات ، وتستولى على اراضيهم ومستوطناتهم ذات المواقع التجارية الممتازة .

ولم تنج المستوطنة المعينية « الديدان » من حملات الآشوريين تلك ، فقد قاموا باغتصابها من المعينيين واخضاعها لنفوذهم لفترة من الزمن . ثم انحسر مدهم فانسحبوا من الديدان كما انسحبوا من مناطق كثيرة في الشام وفلسطين . وعاد النفوذ اليمني الى المستوطنة التجارية تلك حتى انحسر عندما بدأ الشعور الوطني الديداني في البروز ، وتم قيام حضارة مستقلة عن معين واليمن .

ولقد تصدى للعلماء الاوائل فريق من المؤرخين ارجعا تاريخ نشوئها الى القرن الثاني بعد الالف قبل الميلاد كـ (هاليفي) و (ماير) وغيرهم من علماء القرن الماضي واوائل هذا القرن . ورأوا في تقديرات (جلازر) نوعا من المبالغة وعدم الدقة في تسجيل الحوادث في منطقة الشمال وما يقابلها من حوادث جرت فوق الارض اليمنية آنذاك .

اما فريق (فيلبي) و (هومل) فانهما يرجعان تاريخ نشوئها الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد .تلك هي الآراء القديمة المتعارضة فيمابينها والتي استمرت تطرح ما عندها بقوة ، ولم تجد من يدخل معها في تحد ونقاش وجدل فكري حتى ظهر كادر جديد معاصر ، وهم علماء اليوم (مولر) و (دريفز) و (ريكمنز) و (بيستون) وغيرهم من العلماء الاجانب (١١) . نسفوا كل ما قيل عن نشوء الحضارة اليمنية وارجعوا تاريخ قيامها وعلى وجه الخصوص الدولة المعينية الى القرن الرابع قبل الميلاد ، والحضارة اليمنية على وجه العموم الى القرن الخامس قبل الميلاد ، مع تحفظاتهم المطروحة حول رأيهم هذا ، ذلك انهم اعتمدوا الحذر والشك والتحفظ ، فعلى حد قول (بيستون) « متذكرين

دائما ان اكتشاف نقش او نقوش جديدة قد يقلب الآراء ويلزمني بتركها او تغييرها » (١٢) .

ولقد اعتمد العلماء المعاصرون في رأيهم حول تاريخ نشوء مملكة معين بعد ان ربطوا قيام تلك الدولة بنشوء الحضارة اليمنية ،والذي تم متأخرا،على تطور الحروف الابجدية (الهيروغليفية) ، وما تم فيها من تحسينات تمت عبر مرحلة من التاريخ مرت فيها الكتابة بعدد من الحضارات بدأتها في طور سيناء حيث يرجع تاريخ الكتابة « الطور سينائية » الى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ، ثم بالحضارة الكنعانية وكتاباتها ، فالفنيقية والآرامية (١٣) . .

واخيرا الحضارة اليمنية والتي يرون ان منشأها هو بعيد اضمحلال حضارات الشمال وان الخط الذي كتب فيه اليمنيون والمعينيون بالذات لغتهم وتاريخهم والذي سمي « بالخط المسند » انما يعد كشكل راق للكتابة في البلاد العربية ، جاء على الصورة التي اتى بها عبر سلسلة طويلة من التطور في الكتابة (الهيروغليفية) او « الطور سينئية » . ولقد تم ذلك في القرن الخامس قبل الميلاد (١٤) ، الى جانب ما وجدوه من نقوش دونت بالتاريخ الحميري ، حيث قيمت السنة الميلادية او السنة المائة فقابلتها السنة الاولى ميلادية السنة المائة والخامس عشر الحميري . وبذلك يكون كما ورد في النقوش المكتشفة حتى الآن ان تاريخ تأسيس مملكة معين هو القرن الرابع قبل الميلاد (١٥) .

ان الاعتماد على تلك النظرية ــ التي تقول بتطور الحروف الابجدية ــ في تقييم نشأة الحضارة اليمنية يبدو من الخطورة والمجازفة بمكان اثر نظريات وتقييمات جديدة ترى انه ليس من الضروري بمكان ان تكون الكتابة (الهيروغليفية) هي أساس الكتابات القديمة والتي اتفق على تسميتها بالسامية كالبابلية والآشورية والعبرية والخط المسند اليمني وغيرها . وان التطور الذي حصل في هذه اللغات والذي اوصلها الى اشكالها الراقية انما هو نتيجة طبيعية للتطور الذي حصل ضمن كل لغة على حدة داخل اطارها الجغرافي والوطني ، وقد جاء كنتيجة حتمية للتقدم والتحضر الذي حصل لاصحاب تلك اللغات في داخل دولهم وممتلكاتهم . والخط المسند كواحد من هذه الخطوط قد وصل الى شكله هذا ضمن تطور حصل في الكتابة اليمنية نفسها وصلت فيه الى اعلى سلم لها في صورة الخط المسند اياه .

واما الاعتماد على تقييم السنة الميلادية بالسنة الحميرية فقد حمل ــ الكثير من الثبات في الرأي والصحة في التقدير لنشأة الدولة المعينية ، الا ان ذلك لا يعني ان التحضر في اليمن مقصور على هذا التاريخ وانه لم يكن هناك في معين تمدن او دولة قبل القرن الرابع قبل الميلاد . بل لقد اعترف (بيستون)

بوجود تمدن حين طرح رايه في هذه القضية التاريخية : « اما مملكة معين فهي كما ارى جمعية من تجار واصحاب قوافل لهم محطات تجارية في عدد من المواقع المتفرقة وليس لهم شيء يذكر من ممتلكات الاراضي في البقاع المتمدنة سوى في مدينتي قرنو الآن (خربة معين) (ويثيل) الآن (خربة براقش) . ثم ان ازدهار معين كمملكة لم يتجاوز القرون الثلاثة الى الثاني قبل الميلاد (١٦) ويبدو أن البروفيسور (بيستون) لا يقصد أن تلك المملكة كانت عبارة عن جمعية من التجار بالمعنى الضيق للجمعية وانما قصد بها ان مملكة معين قبل القرن الرابع قبل الميلاد كانت عبارة عن تجمعات ومراكز تجارية اتخذت من كل اراضيها نقاط انطلاق للتجارة اليمنية مع شمال الجزيرة العربية والخليج والعراق ومصر ... الخ ، وان مثل هذه التجمعات او المراكز (قرنو) — (نشق) (يثيل) .. الخ سوف تعنى وبالضرورة وجود تمدن ، وان اي تمدن لا شك وانه سيطلب وبصورة ملحة نوعا من السلطة والتي سوف تتمثلها دولة تقوم على اساس اقتصادي تجاري او زراعي ، ينتصب فوق بنيته الهرمية جهاز يقوم بالمحافظة على الامن والاستقرار لتنظيم الحياة في تلك المنطقة . وهـذا البناء الهرمي والذي يأتي على قمته المكرب او الملك لا شك وانه كان خلال وجود تلك التجمعات والمراكز التجارية . اما كون معين تجمعات وليست دولة بسبب عدم وجود ممتلكات لدولة معين في البقاع المتمدنة « وليس لهم شيء يذكر من ممتلكات الاراضي في البقاع المتمدنة (١٧) » فان ذلك لا يعني ان معين لم تكن دولة على الرغم من ان دول الحضارة الانسانية لما قبل الميلاد كانت تعتمد في تكوين قاعدتها المادية لسلطتها وسطوتها كدولة على امتلاك اراض وغزو أخرى من البقاع المجاورة لها ضمن اراض دولة تجمع قبلي عشائري . الا ان ذلك لا يعني مطلقا ان اساس اي دولة هو امتلاك اراضي مجاورة فقد يركب على تلك القاعدة القديمة استثناء وقد كانت معين كما كانت فينيقيا من تلك الاستثناءات .

ولقد وافق رأي (بيستون) رأي للعلامة (البرايت) والذي يرجع تاريخ قيام مملكة معين الى القرن الرابع قبل الميلاد على اثر تولي الملك (اليفع يثع) عرش معين في حوالي القرن الرابع قبل الميلاد . ويرى (البرايت) ان (اليفع يثع) هو ابن الملك الحضرمي (صدق ايل) والذي حكم في النصف الثـاني من القرن الخامس قبل الميلاد (١٨) . وطبيعي ان يحكم ابنه « اليفع يثع » بعده في اوائل القرن الرابع قبل الميلاد اي ان نشوء وقيام دولة معين قد تم اثناء حكمه وهو منشيء تلك الدولة .

ومما لا شك فيه ان معين قد قامت على اساس تجاري وان بداية تكوينها ونشوئها مجهول التحديد وان ذلك يبدو الآن من الصعوبة والغموض بمكان ،

وان معرفة مثل هذه الامور والقضايا التاريخية متعلق ليس فقط بالحفريات والتنقيب الذي قد يتم في المنطقة اليمنية مستقبلا ، بل وفي التنقيبات والحفريات في الوطن العربي ، خاصة تلك الممالك التي جاورت الدولة المعينية فالحضارة الانسانية والعربية بالذات كل لا يتجزأ ، متماسك وغير منقسم وغير قابل للتقسيم ، كما تجدر الاشارة الى ان اليمنيين قد اعتمدوا اسلوب الاحراق والتدمير الكلي في حضارتهم تلك ، وليس بمستبعد ان تكون الدولة المعينية التي قامت في القرن الرابع قبل الميلاد والتي يتحدث عنها البروفيسور (بيستون) قد قامت على انقاض دولة سبقتها حكمت معين لفترة من التاريخ ولم تتمكن من الاستمرار والبقاء على اثر هجمة الدولة الجديدة والتي دمرها السبئيون بدورهم، واحرقوا كل مدنها ومعابدها ولم يبق منها غير خرائب متناثرة في منطقة الجوف تذكر المار بها بحضارة وآثار تمدن دمرت بوحشية على اثر غزوة خارجية او هجرة جماعية من الداخل بعد حروب قبلية وفتن اهلية حلت البداوة محل الاستقرار والتمدن ، وتركت ما تبقى من حضارة نهبا لقطاع الطرق ولصوص الصحراء .

مركز معين الاستراتيجي التجاري :

لقد لعب مركز معين الاستراتيجي في مفترق طرق القوافل الذاهبة والعائدةالى شمال الجزيرة ومنها الدور الاساسي والرئيس في قيام الحضارة في معين قبل غيرها من مناطق اليمن على حسب راي بعض العلماء بل واكثريتهم ممن يرون في احراز معين مثل هذا السبق الحضاري في اليمن . ولقد اعتمد هذا الراي على كون التجارة هي العمود الفقري والاساسي في بناء الحضارة اليمنية المعينية على وجه الخصوص .

لقد تشكلت في معين شيئا فشيئا وخلال العملية التجارية الضخمة التي ربطت جنوب الجزيرة بشمالها وبمصر والعراق والخليج نواة حضارة في جنوب الجزيرة العربية ، وبرز في هذه العملية التجارية التجار المعينيون كمسيطرين فعليين على التجارة في الجزيرة ، ومنظمين رئيسيين لها في اغلب الاحيان ، فأصبحوا ذوي امتيازات فرضتها طبيعة ارضهم الاستراتيجية التجارية .

ولقد اخذت بواكير التطور الحضاري تمد جذورها في ارض معين وبالتالي في الارض اليمنية كلها .

ان الطريق التجاري المنطلق من حضرموت (قنا) حينا و (الشحر) حينا آخر ، والممتد حتى سوريا عبر معين ، والآخر الى العراق عبر الجوف قد لعب دورا ايجابيا في خلق معين وحضارة وتمدن هذه المملكة .

ولقد قامت اهمية معين على وضعها الاستراتيجي الواقع في مفترق طرق التجارة وفي قلب الارض اليمنية ، والذي عكس نفسه فيما بعد تجاريا وحضاريا ، فمعين بموقعها في منتصف الطريق التجاري والشرقي والموصل بين واليمن وممالك الشمال ومصر قد اكسبها اهمية بالغة بالنسبة للتجارة قبل الميلاد بخمسة قرون في راي البعض وبخمسة قرون ويزيد في راي البعض الآخر .

ولقد ازدادت هذه الاهمية التجارية عمقا واتساعا بعد ان ازداد ارتباط الارض اليمنية بالعالم الخارجي على اثر تزايد اهمية سلع اليمن آنذاك لحضارات تلك الدولة واستمرارية بقائها ، والذي حددته طبيعة التوجه الفكري الديني وقتئذ .

ولقد برزت مدن معين كمراكز رئيسة وفي غاية الاهمية لتجارة اليمن مع العالم الخارجي ، فمارست التجارة والرساميل التجارية اليمنية والعربية دورها من قيام ونشوء حضارة معين وازدهارها .

واستطاعت الحياة الاقتصادية التجارية المزدهرة والمستقرة ان تضرب جذورها فوق ارض الجوف لتقوم على اثرها حياة الفرد هناك ، متسمة باديء ذي بدء بالقضاء على اسروح القبلية وانتزاع الناس من حياة البداوة والترحل الى حياة الاستقرار ، وتحول ارض الجوف كذلك من منطقة تعتمد على الزراعة الاولية والبدائية الى منطقة تجارية ضخمة يجد فيها الانسان حاجياته ليس فقط الضرورية وانما مستلزماته الكمالية والحضارية المستوردة من شمال الجزيرة ، والتي كان يتم توزيعها على الجزيرة العربية عبر معين الجوف . كما عملت تلك الحركة التجارية على تطوير وسائل الزراعة تلبية لحاجيات التجارة فتعرفت الجوف على وسائل ارقى لتتمكن من تلبية متطلبات التجارة المتزايدة باضطراد .

لقد خلق ذلك الانتعاش الاقتصادي التجاري حركة عمران متزايدة ، وغير في بنيتها الزراعية لتبرز معين كاهم مدينة في جنوب الجزيرة وعلى الارض اليمنية . ولقد وجد الانسان اليمني في معين الحياة الاقتصادية المنتعشة والمستقرة ، فثبت وجوده على ارضها وفوق مدنها التي قام هو بتعميرها وتشييدها مما ادى الى تكوين حضارة تجارية فيها قبل غيرها من البقاع اليمنية الاخرى .

ولقد شكلت الحركة التجارية في معين العمود الفقري لانتعاش سكان مدنها ، فشاركوا جميعا بتنشيط الحياة الاقتصادية الاجتماعية ليؤمنوا سير

التجارة التي ارتبطوا بها مصيريا دون مشكلات وعوائق ، فأمنوا طرق السير ، وارتبطوا مع جيرانهم بعلاقات حسن جوار ومودة ، فلم يعتدوا ولم يفتحوا ولم يغزوا منشغلين بحياتهم التجارية المنتعشة ، وهذا ما ابعدهم عن كل حركات الغزو والفتوحات .

ومن هنا جاءت مدنيتهم وحضاراتهم تلك معتمدة ومرتكزة على الحركة التجارية كنتيجة طبيعية لخصـــوبة الارض في معين الجوف ولموقـــع معين الاستراتيجي التجاري .

ومن هنا ايضا تكونت قناعات لدى كثيرين من الباحثين والمنقبين في التاريخ اليمني ان حضارة معين هي اولى حضارات اليمن واقدمها نشوءا ، وان تلك الحضارة قد تميزت بخصائص معينة وخاصة بها جاءت على اثر ازدهارها ، وانتعاش اقتصادي املته طبيعة الارض الاقتصادية الجغرافية حيث تتمتع الجوف بمناخ وتربة صالحة للزراعة مكنت معين الى جانب موقعها الاستراتيجي التجاري ، من بناء حضارتها تلك وتمدنها على اسس من علاقات حسن الجوار وتبادل المصالح الاقتصادية التجـــارية ، وابعدت معين عن ذاك الاسلـــوب التقليدي لبناء التمدن والقائم على البطش والغزو والتدمير للجيران . ورفضت انتقال الحضارة عبر اسنة الرماح وعلى شفار السيوف والخناجر وفرضتها بأسلوبها وطريقتها التي تفردت بها دون سائر الممالك اليمنية الاخرى .

ان العلاقة الاقتصادية بين اليمن ومعين وبالذات شمال الجزيرة هي علاقة احتوت في اطارها بوادر حضارية ، فرشت نفسها فوق الارض اليمنية لتضرب في اعماق تلك التربة الخصبة والمعطاء ، والتي تلقفتها بشوق عظيم الى الترفع عن حياة البداوة . ولقد تلقفت ارض الجوف اليمني في المشرق فيض حضارات الشمال مـــن انتعـــاش اقتصادي جر نفسه على فكـــر وحياة المجتمع هناك ، وانبلاج تمدن بدأ يفرض نفسه على ذلك الواقع المتخلف آنذاك .

ان العامل الحاسم في عملية انتقال الحضارة البابلية والآشورية والمصرية قد كمن في فعالية الانسان اليمني المكتسبة اجتماعيا ، والتي تبلورت في صنع حضارة الجزيرة العربية وفي خلق وسيلة مشتركة للتفاهم مع اقوام شمـــال الجزيرة عن طريق عملية الاتجار وتبادل البضائع المتوفرة لدى الطرفين والتي كانت تتم عبر الانسان اليمني المتاجر الذي بنى حضارة الجوف قبل حضارات الساحل الجنوبي الشرقي ومنطقة الوسط وحضارة الشمال الشرقي من اليمن .

ولقد وضعت الفعالية العملية للانسان اليمني في معين الحجر الاساس لنشوء تلك الحضارة على مفترق طرق التجارة ، والجدير بالملاحظة انه اثناء عملية التجارة تلك انبعث ذلك الاحساس بالتمدن والحضارة ، واكد ذاته في

الالتقاط السريع والاستيعاب لقضية التمدن في شمال الجزيرة ،ولقد نشأ ذلك الاحساس كرد فعل فكري بديهي للمثيرات المادية المعطـــاة من التربـــة اليمنية الخصبة .

وبهذا القدر من عطاء الطبيعة وبذاك القدر من الاحساس بأهمية التمدن من اجل الانتعاش الاقتصادي والرفاهية المادية كان من الضروري اكتساب والتقاط مقومات حضارات الشمال واعادة صياغتها بأسلوب يمني املته طبيعة الظروف الجغرافية والمناخية والاجتماعية للارض وللمجتمع اليمني .

وتم ذلك الالتقاط والاستيعاب لحضارات الشمال عبر العملية التجاريـــة ليتمثل في حضارة انفردت بها ارض الجوف قبل غيرها من المناطق اليمنية كنتيجة طبيعية وحتمية لقربها من تلك الحضارات واحتكاكها المستمر بها والذي كان يتم عبر قوافل التجارة .

لقد كان لهذا اليمن علاقات اقتصادية متينة مع جيرانه في شمال الجزيرة ؛ فرضتها عليهم طبيعة ظروف تلك المنطقة الزراعية بالدرجة الاولى ، حيث وجدت الحاجة لمنتجات دول المنطقة بعضها ببعض ،ففرضت تلك الحاجة الرغبة لدى جميع سكان المنطقة في ايجاد نوع من التنسيق الاقتصادي الطبيعي الاولي فيما بينهـــا من اجل خلق تكامل اقتصادي في منطقة الجزيرة كلها كانت اليمن بحاجة الى غزل ونسيج الشام وزجاج لبنان ولؤلؤ مصر وتمور العراق ، كما كانت هذه المناطق بحاجة الى مر وبخور ولبان اليمن (١٩) ، فتمت عملية التبادل التجاري هذه عبر الجوف اليمني تتوسطه وتسيطر عليه دولة معين . ولقد اوجدت عملية التبادل للبضائع الحضارية تلك بوادر تأثر عند المعينيين بحضارة تلك الامم العريقة في حضارتها وتمدنها .

يقول ابن خلدون (وطور الحضارة في الملك يتبع طور البداوة ضرورة لضرورة تبعية الرفه للملك واهل الدول ابدا يقلدون في طور الحضارة واحلالها للدولة السابقة قبلهم فأحوالهم يشاهدون ومنهم في الغالب يأخذون) (٢٠). وتلك نظرة علم العمران البشري والتي املاها على مؤسسة الواقـــع المعـــاش في المجتمعات الانسانية ، حيث تأثر الناس ببعضهم واخذت حضارات تبني نفسها على حساب حضارات اخرى اما تعنتا او تأثرا ليكونوا بذلك وحدة متجانسة وغير مجزأة للحضارة الانسانية بصورة عامة وفي هذا الصدد يسمعنا ابن خلدون رأيا آخر : « وكذلك ايضا رسخت عوائد الحضارة باليمن لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العمالقة والتبابعة آلافا من السنين واعقبهم ملك مصر وكذلك الحضارة في العراق لاتصال دولة النبط والفرس بها من عدد الكلدانيين والكيانية والكسروية والعرب بعدهم آلافا من السنين فلم يكن على وجه الارض لهذا العهد احضر

من اهل الشام والعراق ومصر وكذا ايضا رسخت عوائد الحضارة بالاندلس لاتصال الدولة العظيمة فيهـا للسقـوط ثـم اعقبها (٢١) . ولقـد اراد ابن خلدون كمؤسس لعلم العمران البشري ان يدلل لنا ان الحضارة الانسـانية واليمنية جزء منها قد بنيت فوق بعضها او على انقاض بعضها بطرق التأثر الذي تم نتيجة احتكاك اقوام من الاعراب والبدو بأقوام آخرين كانت لهم حضـارة ومدنية ، كما حصل حين تأثر اليمنيون بعرب الشام والعراق ومصر ونقلوا عنهم جوانب كثيرة من الحضارة بعد يمننتهـا .

يقول ابن خلدون في العمران الحضري : « انتقال الدولة من البداوة الى الحضر » ان الحضارة في الامصار من قبل الدول وانها ترسخ باتصال الدولة ورسوخها ، والسبب في ذلك ان الحضارة هي احوال عادية زائدة على الضروري من احوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الامم في القلة والكثرة تفاوتا غير منحصر ، وتقع فيها عند كثرة التفنن في انواعها واصنافها فتكـون بمنزلة الضائع ويحتاج كل صنف منها الى القومة عليه والمهرة فيه وبقدر ما تزيد من اصنافها تتزايد اهل صناعتها ويقتلون ذلك الجيل بها ومتى اتصلت الايام وتعاقبت تلك الصناعات حذق اولئك الصناع في صناعتهم مهروا في معرفتهـا والاعمار بطولها وانفساح امدها وتكرير امثالها تزيدها استحكاما ورسوخـا واكثر ما يقع ذلك في الامصار لاستجحار العمران وكثرة الرفه في اهلها ، وذلك كله انما يجيء من قبل الدولة لان الدولة تجمع اموال الرعية وتنفقها في بطانتهـا ورجالها وتتسع احوالهم بالجاجه اكثر من اتساعها بالمال ، فيكون دخل تلك الاموال من الرعايا وخرجها من اهل الدولة ثم في من تعلق بهم من اهل مصر وهم الاكثر فتعظم لذلك ثروتهم ويكثر غناهم ، وتتزايد عوائد الترف ومذاهبه ، وتستحكم لديهم الصنائع في سائر فنونه وهذه هي الحضارة (٢٢) » .

اذن فحضارة معين بنيت نتيجة تأثر معين بدول شمال الجزيرة البابلية والآشورية والكنعانية ... الخ ، وقد نقلت تلك الحضارة على ايدي التجار المتنقلين في المنطقة العربية بين جنوبها وشمالها ، والذين شاركوا بضرائبهم ومكوسهم التي كانوا يقدمونها لدولة معين في بناء وازدهار منطقة الجوف ، كما نقلوا بواسطة قوافلهم التجارية تلك كثيرا من الاعمال الفنية والصناعات المحلية التي تأثر بها اليمنيون في معين فأتقنوها بطرقهم الخاصة واعادوا صياغتها بمواد خام معين الثمينة ليزدهم ذلك غنى فوق غناهم ، وليجعل الاقبال على معين واسواقها يزداد اتساعا وعمقا ، فلم تعد معين موقعا تجاريا لتصريف منتجات الاسواق المجاورة ، وانما اضحت منطقة تجارية قائمة في حد ذاتها تملك من المواد والمنتجات الخاصة ما تستطيع تقديمه للاسواق الخارجية والتجار الاجانب. فازدادت غنى فوق غناها التجاري مكنها من ان تبني حضارة وازدهارا وتمدنا خاصا بها ، له ملامح وسمات يمنية معينية .

ان مسألة علاقة معين بالممالك اليمنية الاخرى قد حددت المعالم الاساسية فيها ، ليس فقط بحسن الجوار والمصالح الاقتصادية المتبادلة ، بل باكتسابها ملامح جديدة متميزة املتها على تلك الممالك طبيعة الظروف الجغرافية الواحدة والاوضاع الاجتماعية المتشابهة بل والمتجانسة ، في مجتمع تلك الممالك ، والذي كان يحمل خصائص تفرد بها ذلك المجتمع اليمني ككل ، على الرغم من تعدد الاشكال السياسية التي فرضت ذاك التمزق السياسي رغم التجانس القائم في المجتمع اليمني المقسم بين ممالكه الكثيرة ولقد فرضت تلك التقسيمات السياسية، بالرغم من وحدة ذلك المجتمع ، علاقات معقدة ومضطربة بقيت تتراوح بين العنف والشراسة حينا وحينا آخر بين الود والترابط والتلاحم ، شأن الاخوة المتعايشين في منزل واحد تخضع فيها رغباتهم واهواؤهم حينا للمصالح الذاتية الخاصة وحينا آخر للمصلحة العامة المشتركة ومرة ثالثة للحفاظ على تلك المصلحة العامة من انحراف اي فرد في تلك العائلة الواحدة .

علاقات معين بحضرموت :

ولقد كانت بين حضرموت ومعين علاقات تاريخية ارتبطت ليس فقط بحسن جوار ومصالح اقتصادية متبادلة ، بل انها تجاوزتها لتصل الى علاقات قربى ودم فقد حكم الملك الحضرمي (صدق ايل) معين وشعبها وخلف على عرش معين ابنه (السميفع يثع) وعلى عرش حضرموت (شهر علن).

ولقد تولى بعد ذلك عرش حضرموت (معد يكرب)وهو ابن الملك المعيني (اليفع يثع) اول ملوك معين على راي (البرايت) والذي حكمها في القرن الرابع قبل الميلاد . ثم جاء على عرش معين الملك (حفن دزح) وهو شقيق ملك حضرموت (معد يكرب) وذلك يعني انهما اقتسما معين وحضرموت ، بعد ان كانت تحكم من قبل ملك واحد هو والدهما (اليفع يثع) وعلى راي (البرايت) باعتباره قد اولى هذا الجانب جل اهتمامه ــ ابنه تولى عرش معين وحضرموت ، اي ان الملك (السميفع ريام) قد حاول اعادة توحيد المملكتين ، بعد ان اقتسمها الملكان الشقيقان (حفن دزح) و (ومعد يكرب) . (٢٣)

ونتيجة لتلك الوضعية ، التي قد تبدو غريبة لمن لا يعرف اليمني ونوعية العلاقة القائمة بين ممالكه آنذاك ، فقد تراوحت علاقة كل مملكة باخرى بين الشد ــ والجذب ، فحينا كانت تصل العلاقات بين تلك الممالك الى درجة الحرب والاقتتال ، بل وتدمير البعض ، وحينا آخ تطالعنا حوادث التاريخ بتقارب يصل الى حد اندماج كل مملكة بأخرى ، كما حصل في عملية التزاوج التاريخية التي تمت بين دولة معين والدولة الحضرمية ، حين حكم الملك الحضرمي الكبير (صدق ايل) معين مع حضرموت فسميت دولة (معين حضرموت) وعندما

توفي خلفه على عرش معين وحضرموت ولديه (السميفع يثع) ملكا على معين وشعبها وابنه الثاني (شهر علن) ملكا على حضرموت وشعبها . (٢٤)

استمرت عملية التداخل بين المملكتين المعينية والحضرمية فترة من الزمن لفتت انظار المؤرخين وشدت انتباه المهتمين به وجذبت اهتمام المتخصصين بتراث هذا الشعب وتقاليده ، عبر التاريخ . فقد تولى ابن الملك المعيني (اليفع يثع) وهو الابن الثاني للملك الحضرمي الكبير (صدق ايل) عرش حضرموت وبقي هذا الملك (معد كرب) المعيني يحكم حضرموت لفترة من الزمن ليست بالقصيرة انتهت على رأي (البرايت) سنة ٤٠٠ ق.م (٢٥) معد كرب ابن اليفع يثع ابن صدق ايل حسب رأي قائمته .

ان علاقة معين بحضرموت لم تكن تمليها فقط تلك المصالح الاقتصادية التجارية المتبادلة ، فقد كانت معين جسر مرور للبضائع والمنتجات الحضرمية أو للبضائع التجارية الحضرمية المستوردة من الهند والصين وشرق افريقيا الى « بئر علي » أو « الشحر » لتحملها قوافل التجارة الحضرمية كمبيعات من اسواق معين لتجار الشام والعراق ومصر ، أو عبر الطرق التجارية في معين التي تقوم بتوزيعها على بلدان تلك المنطقة . أو حين اصبحت حضرموت سوقا للتجار المعينيين ولقوافلهم المصدرة والمستوردة لبضائع الارض اليمنية على وجه الخصوص ، والعربية بوجه اشمل .

ان تلك المصالح التجارية المتبادلة بين معين وحضرموت لم تكن هي فقط — على الرغم من ثباتها وقوتها — الرابط القوي بين المملكتين بل لقد تجاوزتها الى وجوه عديدة من العلاقات سواء العلاقة السياسية أو الاجتماعية أو العائلية الشخصية ، فقد حكم بعد الملك المعين « اليفع يثع ٤٥ » ملك آخر هو الملك « حفن دزح » شقيق ملك حضرموت «معد كرب » ويبدو في هذه الحوادث التاريخية التي وردت من النقوش اليمنية ، ان عائلة الملك الحضرمي « صدق ايل » قد تقاسمت بصور عائلية داخل اطار العائلة نفسها ، عرش معين وحضرموت فحينا يكون هذا العرش مندمجا كلا في واحد ، وحينا آخر ينقسم بين ابناء الملك الواحد .

ان أرض معين وحضرموت أرض واحدة وهي جزء من الوطن اليمني الكبير ، الذي كان يبدو في فترات من التاريخ موحداً سياسيا ، وفي فترات اخرى ممزقا شر تمزق تتقادفه الاحداث وتعمل الطموحات والرغبات في اغلب الاحيان على تشطيره وتمزيقه ، وكما فرضت طبيعة الظروف والاوضاع السياسية والاجتماعية بالمقابل اعادة توحيد جزء من الارض اليمنية قامت عليها كل من مملكة معين وحضرموت . ولقد تولى الملك « اليفع ريام » تحقيق تلك

الرغبات والطموحات المشروعة للشعب اليمني في معين وحضرموت حين حاول من جديد اعادة توحيد المملكتين . ان عملية دمج معين وحضرموت لا شك وانها كانت تتم تحت تسمية سياسة واحدة لتلك المملكة . فهل كانت معين هي التي تتبع حضرموت وتحمل اسمها ، ام كان العكس هو الصحيح . ولقد اختلف العلماء من جديد فيما بينهم ففريق يرى ان حضرموت تتبع معين وتحمل اسمها وان الارض الحضرمية حملت اسم معين لفترة من ذلك الزمن وفريق آخر يمثله « البرايت » يرى ان معين تلك قد خضعت لحضرموت فترة من الزمن حددها البعض بثلاثة قرون والبعض الآخر بما يزيد وبقيت كذلك لفترة طويلة حتى بدا من هنا تكوينها من جديد قبل الميلاد بتلك القرون الاربعة على يد « اليفعيثع » ويبدو ان خلافات العلماء فيما بينهم على كثير من حوادث التاريخ ، انما يزجع الى الاختلاف في نقطة البداية والتحديد لفترة نشوء وقيام الدولة المعينية . ولقد جر الاختلاف حول النقطة المهمة الرئيسة هذه اختلافا في وجهات النظر حول كثير من قضايا التاريخ ، وعكس نفسه على اغلبية الحوادث التاريخية ولم تستثن منه حوادث مسجلة في النقوش ،وقد اسس مملكة معين في حوالي ٤٠٠ سنة ق.م الملك (اليفع يثع (٢٦) (ابن صدق ايل) الحضرمي ثم (معد كرب) وهو ابن الملك المعيني اليفع يثع وقد حكم مع معين عرش حضرموت بعد موت عمه « شهرعلن » وهذا يدلل عمق الرابطة بل وعضويتها القوية بين معين وحضرموت، والتي جعلت العلماء يخلطون خلطا كبيرا فيولى فيلبي « صدق ايل » عرش معين وحضرموت ويوليه « البرايت » عرش حضرموت كما يولى « فيلبي » الملك « اليفع يثع » عرش حضرموت ويوليه « البرايت » عرش معين لوحدها بعد ان اسسهما .

وايا كانت تلك الخلافات بين العلماء حول تبعية معين لحضرموت او حضرموت لمعين فما يهمنا من مثل هذه الاحداث هو استخلاص نتيجة ايجابية من مجموع تلك الحوادث ، وذلك الصراع التاريخي ، حول العرش وهي ان تلك الممالك قد تداخلت في بعضها لفترات طويلة من تاريخها . وان مثل ذلك التلاحم او التداخل ، انما كان يتم بمحض اختيار ورغبة شعب اليمن او كما تعارف العلماء على تسميتهم (الشعوب اليمنية) والتي كانت تعنى انذاك مجاميع من الناس سكنت المدينة واستقرت فيها ، ودخلت عليها كل انواع الرفاهية والتمدن لتميزها عن مفهوم القبلية العصبية الضيقة .

ويبدو ان مفهوم شعب ، هو كما يورده الدكتور جواد علي ، قد استعمله

اليمنيون في لغتهم القديمة وتعنى القبيلة★ ، وجمعها « أشعب » اي قبائل . (٢٧)

ثم ان اقامة كيان واحد للشعب اليمني بدل تلك الكيانات الصغيرة المزقة . قد تم في التاريخ اليمني بأساليب كثيرة ، بعضها اتخذ طابع العنف والحرب والاقتتال ، والبعض الآخر بطرق تتلاءم وروح ذلك العصر ، كتنازل اختياري عن عرش ، او تقاسم عرش ، او دمج وتوحيد اكثر من عرش ، بموافقة وقبول مجلس كبار القبائل وزعمائهم . والذي كان يعبر عن راي القبائل . حيث كان زعيمها او كبيرها يحمل رأيها ويعبر عن وجهة نظرها بمحض اختيار وارادة الشعب اليمني كما تمت في احيان عملية الضم والتوحيد للارض اليمنية بأسلوب قسري كاقتتال او توسع او غزو كما حصل حين توسعت قتبان على حساب معين وضمت الاجزاء القريبة من ارضها الى مملكتها .

كما وان اعادة توحيد الارض اليمنية قد تمت من خلال بناء دولة مركزية واحدة بعد حروب شديدة قاتل فيها الملوك الاشداء تلك القبائل المتمردة على الاطراف او بعض الملوك المتمنعين ضد توحيد الارض اليمنية المبعثرة تحت حكم واحد مركزي . كما حصل عندما اشتد ملوك سبأ فصالوا وجالوا بجبروت طمعا في توحيد الارض اليمنية والشعب اليمني . وتجسدت بذلك وحدة الارض والشعب والحضارة في جنوب الجزيرة العربية .

علاقة معين بسبا :

اما علاقة معين بسبأ فقد شابها نوع من الوجل والرهبة ، لما كان لسبأ في المنطقة اليمنية من ثقل سياسي وعسكري ، مكنها من ان تفرض نفسها كمسئول عن التجارة اليمنية . وحام حقيقي لها من اي اعتداء عليها سواء كان من قبل

★ بالنسبة لمفهوم كلمة شعب لدى اليمنيين القدماء اثبت الاستاذ بيستون في بحث نشره منذ اربع سنوات في مجلة J.E.S.H.O. (المجلد ١٥ لسنة ١٩٧٢) ان الباحثين السابقين اخطأوا في تفسير لفظي « شعب » و « مكرب » وترجمتها بكلمتي « قبيلة » « والحاكم الديني » واثبت بالعكس ان لفظة شعب ليست قبيلة ولكنها تجمع اثنين او اكثر من المجتمعات القروية الزراعية كما ان لفظي ملك ومكرب هما لقبان لمسمى واحد ، وذلك من خلال النصوص اليمنية ذاتها . وهذا الاكتشاف يغير . من الاساس . المفهوم الشائع عن المجتمع اليمني القديم كما يبدل من الشكل الذي نعرفه من قبل لنظامه السياسي فلم يكن الملك ذا صبغة دينية ولكنه ، في المراحل القديمة على الاقل من التاريخ اليمني . كان عبارة عن كبير المنفذين للشعب وليس الحاكم المطلق . والمشرف على تنفيذ ما يقرره مجلس المشرع — وهو احد اعضائه — وليس المالك المسيطر ، الذي نعرفه في الملكيات المطلقة . (المحرر) .

قطاع الطرق ولصوص الصحراء أو من تلك القبائل التي سكنت أطراف اليمن وعلى رؤوس جباله ، والتي كانت تفرض بدورها او بطرقها الخاصة ضرائب باهظة على القوافل التجارية او حام حتى من جشع اية مملكة ترفض استعمال اراضيها كنقاط مرور او انطلاق .

ان الدور الذي لعبته سبأ في المنطقة اليمنية قد خلق عند سبأ الاحساس بأهمية استخدام كافة طرق التأديب ان سمحت اية مملكة لنفسها بأن تتمادى وتعتدي على تجارة او اراضي مملكة اخرى ، ولقد ادركت سبأ ما لمعين من ثقل في اليمن ، خلفته بلا شك اهمية معين تجاريا وسيطرتها على مفترق طرق التجارة الذاهبة من اليمن والعائدة اليه ... وانطلاقا من روح المسئولية تجاه اليمن والمماليك اليمنية وما كان لسبأ من جبروت وقوة ، فقد شنت حملات كبيرة على معين حين هاجمها المكرب السبئي « يثع أمر وتر ، بعد هجمات والـده (سمه علي ينف) على راي (فيلبي) و (يده أيل بين) على راي (هومل) جاء في الكتابة الموسومة ب (Philby 77) (٢٨) وانتصر على المعينيين وهزمهم شر هزيمة ، فاخضع لسيطرته مدنهم وقراهم كما قام بتركيع قبائلهم وعشائرهم القوية لحكم سبأ . ولم يكتف بذلك بل قام بهجومه القوى فاوقع في القبائل « مهأمرم »و «امرم» خسائر كبيرة وقتل منهم زهاء خمسة واربعين الف رجل واسر اكثر من الف اسير ، وغنم الاف الرؤوس من الماشية والابل ، ودمر واحرق عددا من القرى والمدن هناك ، ومن المدن التي احرقت مدن تجارية كبرى كمدينة « العذرايل » وجميع مدن « رجمة » ولم يتراجع السبئيون عـن زحفهم ذاك الا باحراق قرى المملكة ومدنها بعد ان دمرت « نجران » كلها .

علاقـة معين بقتبـان :

لقد اختلفت علاقة معين بقتبان نتيجة قرب المملكتين من بعضهما واحيانا تداخل حدود كل منهما مع الاخرى فتوزعت بينهما القبائل وتشاطرتا معا قبائل كثيرة ، فصار جزء منها في مملكة والجزء الثاني في المملكة الاخرى كقبيلة (طدام) (٢٩) والتي ورد اسمها في نصوص قتبانية كما ذكرت في نقوش يمنية ومعينية وحضرمية وغيرها ... ويبدو ان هذه القبيلة وغيرها من القبائل ، قد تقسمت بسبب انشطار الممالك اليمنية عن بعضها كما وان هجرتها من منطقة الى اخرى قد عمل على توزيعها بين الممالك اليمنية فقرب ذلك بين المناطق باسرها .

وكما يبدو من دراسات التاريخ ، ان اللهجة القتبانية هي اقرب اللهجات الى المعينية ، فالهاء المضافة الى الفعل والذي يوزن في العربية الحديثة على وزن « فعل » ك « حدث » ويقابل وزنها فعل « افعل » فتأتي مسبوقة من اللهجة

المعينية والقتبانية بحرف السين « سحدث » بينما يأتي نطقها باللهجة السبئية مسبوقة بالهاء « هحدث » (٣٠) ولهذا كانت علاقة معين بقتبان ، بالاضافة الى المصالح الاقتصادية المتبادلة متمثلة بالعلاقات القبلية الحميمة والوطيدة بل والواحدة واللهجة المتقاربة بل والواحدة أيضا نتيجة لوضعية القبائل المعينية والقتبانية ، والتي تقسمت بين المملكتين مما يجعلنا ندرك بما لا يقبل الشك ان الشعب اليمني قد تقسم بين القبائل عنوة وتعسفا .

علاقاتهم مع جيرانهم :

لقد تمتع المعينيون كتجار بسمعة طيبة بين جيرانهم خاصة بعد ان جاورهم عن طريق مستوطنتهم (الديدان) وارتبطوا مع اقوام الجزيرة العربية بمصالح اقتصادية تجارية مثلوا فيها تجارا للمنطقة العربية بأسرها ، وحراسا للبوابتين الجنوبية والشمالية ، فاستطاعوا ان يكونوا علاقات حسن جوار ومودة بعد ان متنوا علاقتهم التجارية فصدروا واستوردوا وباعوا واشتروا وعملوا كسماسرة للجزيرة العربية بأسرها . ولذلك جاء ذكرهم عند اقوام شمال الجزيرة فذكرهم العبرانيون في التوراة حيث تحدثوا عنهم كتجار كانوا يرسلون حاصلاتهم الى سوق (صور) « ومن بيت توجرمة بالخيل والفرسان والبغال اقاموا اسواقك بنوددان تجارك وجزائر كثيرة تجار يدك ادوا هديتك قرونا من العاج والابنوس » (٣١) .

وتذكر آية اخرى تجار الددان وشبا الذين تجاروا مع بني اسرائيل « ددان تاجرتك بطنافس للركوب العرب وكل رؤساء قيدارهم تجار يدك بالخرفان والكباش والاعتدة في هذه كانوا تجارك تجار شبا ورعمة هم تجارك بافخر كل انواع الطيب وبكل حجر كريم والذهب اقاموا اسواقك . حران وكنه وعدن تجار شبا وآشور وكلمد تجارك » . وكما وجدت لهم كتابات معينية في (الجيزة) مصر الافريقية وفي موضع يقال له (قصر البنات) ارخت هذه الكتابة سنة ٢٢ من حكم « بطليميوس بن بطلميوس » (٣٢) « فقد كان للمعينيين علاقات تجارية مع مصر التي صدروا لها كل ما تحتاجه معابدها من البخور واللبان وهو من اهم المواد التجارية على الاطلاق في تلك الفترة لاهميته الدينية وهي التي كانت مسيطرة على روح تلك الفترة ، وهكذا مون المعينيون المعابد المصرية به في القرن الثالث قبل الميلاد بها وترجع كتابة تلك النقوش والتي تتحدث عن علاقة معين بمصر الى القرن الثالث قبل الميلاد والى سنة ٢٦٤ ق.م. على راي بعض العلماء وقد دونتها جالية معينية يبدو انها تعمل بالتجارة بين معين ومصر فاستوطنت مصر بعد ذلك وبقيت كجالية لها عاداتها وتقاليدها بل وثقافتها ولغتها والتي كتبت بها نصوصا ، ودونت كل ما يتعلق بها من احداث وامور وبالطريقة التي نقلتها من اجدادها

وآبائها متأثرة بها على الرغم من الواقع الجديد الذي انتقلت اليه والذي فرض عليها لاعتبارات تجارية املتها طبيعة عملهم كتجار بين شمال الجزيرة ومصر مع جنوبهـــا .

ولقد امتدت علاقتهم التجارية الى خـــارج الارض العربيـــة فوصلت الى الرومان واليونان ، وقد جرت هذه العلاقات التجارية نفسها فيما بعد على بعض الارتباطات الاجتماعية حيث عثر في جزيرة (ديلوس) اليونانية على كتابة معينية بخط معيني وبحروف يونانية على نص يقول فيه « زيد ايل من ذي مذب نصب مذبح ودارلهة معين بذلت » و « دلت » هي (ديلوس) اي اسم الجزيرة التي وجد فيها النص . (٣٣)

كما وجد دعاء باسم اله معين بالحروف اليونانية « يا ود اله معين يا ود » وهو دعاء كتبه صاحبه يخاطب فيه الهه واله آبائه واجداده الذين ابتعد عنهم مسافات طويلة وفرقت بينه وبينهم الجبال والوديان والبحار بعـــد ان ذهب مهاجرا واصبح مستوطنا يونانيا بعد ان كان مواطنا يمنيا . وقد آلمته تلـــك الوضعية فاستجار باله معين الكبير (ود) ولقد جاءت تلك الكتابة بالحـــروف اليونانية على استيطان تلك الجالية المعينية في الجزيرة اليونانية الا ان الاستجارة باله معين (ود) دليل بقائها مرتبطة بأرض الآباء وتقاليدهم وعاداتهم بل وحتى ديانتهم على الرغم من هجرتهم واستيطانهم هذه الارض اليمنية . (٣٤)

ان المتتبع لتاريخ الحضارات الانسانية بصورة عامة والحضارة اليمنيـــة على وجه الخصوص يدرك ان تلك الحضارات اليمنية القديمة قد قامت تحت ظل نظام ملكي ، الا ان نوع هذا النظام او ذاك قد اختلف من منطقة الى اخرى ، وجاء حسب ظروف كل حضارة ، وما املاه الواقع على النظام الملكي ذلك بل ان النظام يجيء ملبيا ومستجيبا لحاجيات الواقع وظروف حياة المجتمع . ولقد املى مثل هذا الواقع على الدول في اليمن ومعين بالذات ان يتخذ الملك شركاء له في الحكم يحملون كما تقول بعض النصوص نفس لقب « ملك » والذي يحمله الملك نفسه . وقد يكون ذلك سببا لتلك الوضعية التي كانت عليهـــا دولة معين ، حيث كانت تتألف من تلك المراكز التجارية والتي حملت الملك « الكبير » على ان يهب لاخوته وابنائه سلطاته عليها ويمنحهم لقبه .

ولم تكشف النقوش اليمنية تفاصيل مثل هذه الوضعية وما اذا كان لاخرة الملك والذين يحملون نفس لقبه ويتحملون كذلك صلاحياته وسلطاته يمنحون حق التصرف الواسع بتلك الصلاحيات والسلطات كما كان للملك ام ان صلاحياتهم وسلطاتهم تلك كانت محددة ومحدودة او انهم كانوا يتمتعون باللقب فقط .

كانت تلك الاسئلة ما زالت محل نقاش العلماء المهتمين بالتاريخ . .

ولقد فرض موقع معين التجاري بين اليمن والخليج وشمال الجزيرة وبلاد ما بين النهرين نظاما غير تعسفي ، فيه من المرونة والديمقراطية في العلاقات الاجتماعية والسياسية ، حيث كان الملك يستشير في امور البلاد رجال الدين ورؤساء المدن واعيان القبائل ، ثم تصدر بعد ذلك الاحكام والتشريعات والمراسيم تحمل اسم الملك والاله المعيني الاكبر ، اله الدولة ، لتعلن بعد ذلك على الناس امام معبد او بوابة المدينة للاطلاع عليها وتطبيق بنودها . هذا ما كان يحصل في المدينة عاصمة المملكة (قرناو) وغيرها من مدن معين الهامة . . اما طبيعة التشريعات والقوانين ، في بقية المدن ، فقد كان لكل مدينة وضعها الخاص بها ، على الرغم من أن هناك قوانين عامة تشمل المملكة كلها ، خاصة تلك التي كان يصادق عليها الملك وكبار رجال الدولة . ولقد كان حكام المحافد وكبراؤها يصدرون المراسيم الضرورية واللازمة في اطار نفوذهم في محافدهم ، تفتح باسم الملك المعيني والالهة المحلية والاله الكبير للدولة . ان الدولة المعينية والتي كانت تتألف من مجموعة مدن صغيرة كان لا بد ان يفرض ملكها واعلى سلطة تشريعية فيها حكومات صغيرة ، تنفذ هي كل تشريعات وقوانين السلطة التشريعية في البلد ، بواسطة مجلس استشاري ينفذ تشريعات السلطة العليا ، ويشرع القوانين المحلية للمدينة ويدير شئونها اليومية ، كما يسوس الحياة الاجتماعية ويسيرها ، الا انه في القضايا والمشاكل الكبيرة والمعقدة ، يرجع الى السلطة المركزية في العاصمة ، والتي كانت تتركز في يد الملك ومجلسه الاستشاري .

ولقد انقسمت مملكة معين الى عدد من المقاطعات ، أو كما كانوا يسمونها (المحافد) على رأس كل محفد كبير (٣٥) يذكر اسمه بعد اسم الملك والاله فيما يسجلونه من معاملات تجارية أو احكام قضائية ، تنشر بعد ذلك في الاماكن العامة ، وحيث التجمعات البشرية في الاسواق ومداخل المدينة وابواب المعابد .

وكانت الحكومة المعينية ، تعتمد على الضرائب والمكوس التجارية على وجه الخصوص ، كما أن واردات الزراعة الحكومية كانت من أهم مصادر الدخل للدولة ، ولم يعف اي قادر على دفع الضريبة للدولة من دفعها ، اذ كانت تجمع من التجار والمزارعين وسائر افراد الشعب القادرين على الدفع من الدخل والمنتوج ، كان يقوم ، كما جرت العادة في تلك المجتمعات ، المشائخ والحكام ورؤساء القبائل أو المحافد بجمعها ثم دفعها باعتبارهم ممثلي الملك في مناطقهم ، كما انهم الهيئات العليا في الدولة ، وقد كانت لهم حصصهم الخاصة بهم يخرجونها قبل ان يدفعوها الى خزينة الدولة ، التي هي خزينة الملك . ويبدو ان مثل هذه الوضعية قد بقيت سارية المفعول ومتداولة حتى عهد الامامة في عصرنا هذا .

ولقد عرفت تلك الضرائب من النقوش التي عثر عليها باسماء عدة ، منها : الضريبة (فرعم) اي (الفرع) الضريبة (عشرم) اي (العشر) وغيرها من التسميات الضرائبية . كما قرئت في النقوش ، كتابات العقود والديون ، وتسديد الضرائب وكل ما كان متعلقا بالبيع والشراء والمكوس .

وقد كانت الى جانب الدولة جهة رسمية اخرى هي معابد تجمع لهـا انجبايات مقابل ضرائب الدولة ، كما كانت لها اراضي اوقاف خاصة بها تستغلها للتوسع في مد نفوذها الديني والسياسي . كما ان النذور والهبات والعطايا والقرابين قد شكلت رافدا آخر من روافد دخلها وسطوتها ، حيث تدخلت في قضايا الناس الفردية الاجتماعية ، حين قدمت لها القرابين لشفاء مريض ، وتغلغلت في حياتهم التجارية الاقتصادية ، ففرضت نفسها اثر عودة قافلـة تجارية مصحوبة بالسلامة نتيجة رعايتها وحراستها لها ، وفرضت نفسها على المزارع فقدم لها جزءا من غلته الوافرة ومحصوله السنوي . كما فرضت نفسها على كل صغيرة وكبيرة فقدم لها الجميع ، غنيهم وفقيرهم الهبات والقرابين ولم تعذر احدا ولم يعذر من جبايتها قادر او معدم ، على خلاف ضرائب الدولة التي لم تفرض على الفقراء من الرعايا بل على القادرين على الدفع فقط .. وقـد اطلق على جباياتها ونذورها لفظة (كبودت) و (اكرب) وهي بمعنى (اقرب) للاله وبواسطة التقرب للآلهة . (٣٦)

لقد تحمل الحكام ورؤساء القبائل في المجتمع اليمني القـديم مسئوليـة المجتمع امام الدولة بكل ما توجبه تلك المسئولية من التزامات ضرورية سواء اكانت اجتماعية او دينية او اقتصادية ، فقد قاموا بجمع الضرائب من اتباعهم من ابناء القبائل المتعايشةفينفس المدينة او المقاطعة. .ولقد كان جزء من تلكالضرائب يدفع الى خزينة الدولة والجزء الآخر يحتفظ به لتطوير المدينـة وللقيام بالعمران المطلوب انجازه في هذه الناحية او تلك فمنه كان يتم بناء المباني العامة كالسدود او شق قنوات او ردم الطرق ، ومنه ما كان يخصص لانشاء المباني الحكومية واسوار المدن وتحصيناتها بالابراج .. كل ذلك كان يتم بعد اقتطاع حاجياتهم ومستلزماتهم الشخصية من الاموال ، مقابل ما كان عليهم دفعه من ضرائب .

ومن ضمن اعمالهم القيام بما هو مطلوب من اعمال تجاه المعابد لصيانتها وترميم اسوارها والعناية بممتلكاتها واستغلال اوقاتها الزراعية واستثمـارها نيابة عن المعبد ، والحفاظ على مخزونات المعابد من مرولبان وبخور ... الخ .

ولقد اصبحت النذور بالنسبة للمتعهدين بتقديمها كالدين يتحتم الايفاء به مهما كانت ظروف الفرد او الجماعة . فالفرد مجبر بفعل قوة داخلية على تأدية مـا قطعه على نفسه امام الالهة ، والا فهو المسئول عما قد يحل به نتيجة غضبهـا

وما يجر هذا الغضب من ويلات عليه وعلى عائلته وجماعته .. ولقد اجبر الفرد بحكم تربيته الدينية على تقديم نذوره ، على اساس انها هبات وعطايا منه ، الا انها ، عدت دينا عليه للقسم الذي قطعه على نفسه واشهدها هي على ذاك القسم فعرفت هذه الديون في النقوش اليمنية بعبارة (دين ود) (٣٧) و « دين ... » لذا فان الوفاء بها وضرورة قضائها يصبح على كاهله كعبء يرزح وينوء به حتى يفي به كاملا .

وفي العرف القبلي يكون الاخلال او التلاعب في تأدية دفع الديون نوعا من العيب يجعل المتلاعب منبوذا وسط جماعته وقبيلته مما يحرجها امام بقية الجماعات .. لذلك فان الجماعة غالبا ما تؤدي مثل هذه الديون شريطة ان يعترف المدين بها امام جماعته وبتقصيره في الوفاء بها ويطلب منها تأدية ذلك نيابة عنه .

ولقد تمتع رؤساء القبائل والسادة ، خاصة المتفرغين منهم للمعابد بمكانة اجتماعية ومادية ، فقد كانوا من كبار اغنياء مقاطعاتهم الى جانب نفوذهم الاجتماعي والديني . فقد كونوا من عملهم هذا ثروات ضخمة ، فهم وحدهم المكلفون بالاتجار بممتلكات المعبد المخزونة وهم الوحيدون الذين يملكون الحق في توقيع الاتفاقيات لتأجير املاك المعبد من اغنياء المدن من التجار ، خاصة وان الفرد منهم مسئول عن عدد من المعابد .

الحياة الدينية في معين :

لقد سيطرت الحياة الدينية في تلك الحضارة على الفرد اليمني ، على الرغم من ميله الى الجانب المادي والعملي في الدين فقد انتشرت المعابد واصبح لكل مدينة معبد ، بل عدة معابد في بعض الاحيان . وقد يشترك في المعبد عدد من الالهة ، وقد يخصص لعبادة اله واحد يسمى المعبد باسمه وتقدم النذور والقرابين له ، ويدير شئونه الداخلية فرد تطلق عليه لفظة (شوع) .

ولقد وردت في النصوص المعينية : اسماء لمجموعة الالهة ترمز الى الكواكب السماوية (عثتر) ويرمز الى الزهرة . ويسمى (عثتر ذقبضهم) وتعني (عثتر القابض) .

كما ورد اسم الاله المعينى (نكرح) والذي يرمز الى الشمس جانب اله معين الكبير (ود) . وقد وردت اسماء الالهة الثلاثة بترتيب معين بدا بالاله (عثتر) و (ود) واخيرا الاله (نكرح) وقد خصص حصن (يهر) لعبادة الاله (عثتر ذي قبض) . (٣٨)

كما ان اسم الاله (ود) بقي معروفا عند عرب الجزيرة ، على ان الاله الرئيس لاهل معين قد ورد ذكره في سورة (نوح) من القرآن .

و (ود) هو رمز للقمر ، ولذا فقد كان كأكبر اله عند المعينيين مثلهم مثل بقية اقوام اليمن التي عبدت القمر ورمزت اليه باسماء عدة (كـ (سين) عند الحضارمة و (عم) عند القتبانيين وهو نفس الاله (المقه) السبيء .

لقد تعددت الاسماء للاله القمر، وعبدت على تلك الصور المتعددة وكان الاكبر والرئيس عند الجنوب . لما كان يتمتع به القمر من اهمية خاصة نتيجة يرمز اليه براس ثور حينا وحينا آخر بصورة وعل،وثالث حين بصورة نسر قوي الجناح كاسر ، (٣٩) وكل تلك الصور لم تكن لتدل الا على قوة الاله القمر وجبروته وسطوته على اقوام الجزيرة العربية . ولم تستطع الشمس ، على الرغم من عظمتها واهميتها بالنسبة لاقوام شمال الجزيرة ، على ان تزاحم القمر الاله الاكبر والرئيس عند الجنوب ، لما كان يتمتع به القمر من اهمية خاصة نتيجة لطبيعة منطقة جنوب الجزيرة .

اهم مدن معين :

ذكرنا سابقا ان مملكة معين اليمنية تكونت من عدد من المدن الموزعة في الجوف اليمني والمحيطة بالعاصمة (قرناو) ولقد وصفها الاستاذ (محمد توفيق) في كتابه (آثار معين في جوف اليمني) بعد زيارته لها قائلا : (ومعين تقع على اكمة من الطين منحدرة الجوانب وتعلو عن سطح ارض الجوف بخمسة عشر مترا ، وهي مستطيلة الشكل ، واستطالتها من الغرب الى الشرق ، وطولها ٤٠٠ متر وعرضها ٢٥٠ مترا ولها بابان مدخل ومخرج) (٤٠) .. الخ ولقد بقيت هذه المنطقة لخصوصيتها مأهولة بالسكان حتى وقت متأخر اثر الهجرة التي حصلت لاهلها في القرن الثاني عشر نتيجة للاضطرابات القبلية والمشاكل السياسية مع دولة الائمة الزيديين .

ولقد كانت في مدن معين المهمة ، لكونها مركزا دينيا حساسا، مدينة (يثل) وهي خربة (براقش) (٤١) التي ورد ذكرها كثيرا عند الاخباريين واختلفوا عليها كثيرا وتعددت آراؤهم وتشتت ، وذهب كل واحد منهم مذهبا .. فمنهم من قال انها حصن ، ومنهم من زعم انها نسبة الى كلبة عرفت باسم براقش الى غير ذلك من الاساطير والروايات .

ومن مدن معين المعروفة في التاريخ مدينة (نشق) و (درشن) و (كمنن) و (نشن) وهي المعروفة اليوم بـ (المخربة السوداء) وهناك مدن اخرى .

عرش معـــين :

لقد تولى الحكم في دولة معين عدد من الملوك والمكاربة في الفترة الواقعة بين القرن الرابع قبل الميلاد وحتى النصف الاخير من القرن الاول قبل الميـــلاد ، واولهم كما يرى (البرايت) بعد ان عدل قائمته الاولى . وهو الملك (اليفع تبع) وهو احد ابناء الملك الحضرمي (صدق ايل) حوالي السنة الرابعة بعد المئة قبل الميلاد ثم جاء بعده ابنه (اليفع ريام) . وتستمر المجموعة الاولى في قائمـــته الثانية المعدلة تعدد اثني عشر ملكا معينيا لتنتهي بـ (حفن يثع) الذي تولى عرش معين وبقي عليه حتى سنة ٣٥٠ ق.م. (٤٢)

ثم يضع (البرايت) مجموعته الثانية والمكونة من اسماء ستة ملوك اولهم الملك (وقة ايل نبط) الذي تولى العرش قبل الميلاد بمائتي عام واخرهم الملـــك (حقن ريام) وقد حكم هؤلاء الملوك الستة (معين) في حوالي مائة عام او ينيف قليلا لتوضع المجموعة الثالثة والتي حملت ثلاثة ملوك فقط حكموا عرش معين وهو في النزع الاخير من انفاسه ، مدة خمسين سنة تحطم بعدها ذلك العرش على أيدي ملوك قتبان الذين كانوا هم الملوك الحقيقيين ابان حكم الملوك المعينيين الثلاثة (يثع ايل صدق) و (وقه آل يثع) والذي حكم سنة ٧٥ قبل الميلاد ثم اخرهم الملك (اليفع بشر الثاني) (٤٣) والذي شـهدت مملكة معين مصرعهـــا في أيامه على يد ملوك قتبان .

ان هؤلاء الملوك الذين تداولوا حكم معين لا شك وانهم قد عملوا على فرض الاستقرار فيها لمصلحتهم الخاصة ، لفرض سيطرتهم من جهة ، ومن جهة اخرى ليتم لهم التمتع والترف الذي عاشت فيه معين خلال فترة الازدهار تلك .

ولقد وصلت معين قمة ازدهارها ومجدها في منتصف عمرها اثناء حكم (وقه ايل نبط) على رأي (البرايت) ، ثم بدأ الوهن يدب في جسمها حتى شـهدت تلك الحضارة مصرعها بعد نزاع طويل وهنت فيها تلك الفترة قوتها على يد ملوك قتبان وفي ظل ملك ضعيف هو الملك (يفع بشر الثاني) كما يضعه (البرايت) في قائمته المعدلة تلك والتي حملت اليها حوالي واحدا وعشرين اسما لمعت بعضها كأسماء لملوك بني معين ومجدها ، وأوصلوا سمعتها حينها الى امم الارض المتحضرة وابانت بعض تلك الاسماء من وقائع التاريخ كاسماء هزيلة ساعدت مجموع تلك الظروف المحيطة على ان تضرب قبضتها على معين والذي يعتقده (البرايت) ان ابن (عميثع نبط) قد تولى العرش بعد ابيه (ابكرب يثع) ثم من بعده عدد من الملوك ختمهم بالملك (حفن يثع) الذى حكم معين عام ٢٥٠ قبل الميلاد .

اما المجموعة الثالثة فقد بدأها بالملك (يثع ايل صدق) ومن ايامه بدأ الضعف يدب في جسم الدولة المعينية ليتلقف الحكم بعده ملك سمي (وقه آل

يثع) تبع في حكمه الملك القتباني (شهر يجل يهرجب) بعد ان وقعت معين تحت منها لمعين او التابعة لحضرموت واوسان . وتولى بعده الحكم ابنه (اليفع بشر) و (حفن ريام) وآخر ملوكهم (قه ال نبط) والذي تحطمت دولة معين في ايامه وتلاشت من الخارطة اليمنية .

ولقد ذكر « فيلبي » اسماء اثنين وعشرين ملكا اولهم كما اتفق مع « هومل » الملك (اليفع وقه) عثر على اسمه في نقش معيني في مدينة (نشن) و (جراتش) التي عثر فيها على كتابة دونت باسمه واسم ابنه (وقه ايل صدق) وقد حكم بعد هذا الملك ابنه الملك (اب كرب يثع) وورد في نقش اسم الملك (عم يثع نبط) وهو ابن الملك السابق (اب كرب يثع) وهناك فترة زمنية تقدر بحوالي عشرين سنة لم يعرف من حكم فيها عرش معين منذ السنة ١٠٤٠ ق.م وحتى سنة ١٠٢٠ ق.م ليتولى العرش الملك الحضرمي (صدق ايل) ومن بعده ابنه (اليفع يثع) الذي حكم حسب تقديرات (فيلبي) ١٠٠٠ سنة ق.م وجاء بعده شقيقه المدعو (شهر علان) وقد انفرد بحكم حضرموت ففصل عرشها عن العرش المعيني ثم حكم عرش معين (حفن ذرح) وهو ابن الملك السابق (اليفع يثع) ؛ سنة ٩٨٠ ق .م وتولى شقيقه (معد يكرب) عرش حضرموت ، ولم يدم حكم الملك (حفن ذرح) كغيره من الملوك وانتهى ليحتل مكانه بعده أخوه (اليفع ريام) ثم جاء بعده سنة ٩٥٠ ق.م ابنه (هوف عث) وفي سنة ٩٣٥ تسلم عرش معين الملك (اب يدع يثع) وقد بقيت حضرموت على راي (فيلبي) مندمجة في معين قرابة الثلاثة قرون الى حوالي سنة ٦٥٠ ق.م حين انفصلت عنها .

وتولى عرش معين بعد (يثع ايل صدق) ابنه (وقه ايل يثع) وفي ايامه اخذت تتقهقر الى الوراء ليأتي بعده ابنه (اليفع بشر) الذي وقعت معين كلية في عهده في ايدي ملوك قتبان . وقد عثر على كتابة كتبها اهل (ذمران) ورد فيها : « في ايام سيدهم (وقة ايل يثع) وابنه (اليفع بشر) ملك معين وباسم سيده (شهر يكل يهركب) ملك قتبان . (٤٤) وهذا اعتراف من قبل شعب معين وملوكها بسيطرة ملوك قتبان على معين انذاك فلم يدون نقش يحمل قانونا او يتضمن اخبارا داخلية الا ورد فيها الى جانب ملوك معين ملوك قتبان الجبابرة في ايامهم تلـــك .

وعلى الرغم من تدخل قتبان في شؤون معين بل وفي المساس باستقلالها وسيادتها على اراضيها،الا ان معين بقيت تتمتع بنوع من الحكم الذاتي والاستقلال الداخلي بشئونها فبقي ملوكها هم الحكام عليها ، وقد كان على راسهم الملك (حفن ريام) وهو ابن (اليفع بشر) وشقيق (وقة ال نبط) ثم ترك (فيليبي) بعدهما فراغا يقدر بعشرين عاما حيث ينتهي سنة ٧٥٠ ق.م . وقد ضـــم (فيليبي) بذاك الاسم المجهول الاسرة الثالثة التي حكمت عرش معين ليبتديء

الاسرة الرابعة بالملك (ابيدع ريام) ليتولاها بعده ابنه (خل كرب صدق) الذي عثر على اسمه في كتابه بالخط المسند وجدت في (قرناو) عاصمة الدولة المعينية .. وقد تولى العرش بعده احد ولديه هو الملك (حفن يثع) . (٤٥)

لقد عودنا (فيليبي) ان يضع فراغا عند التشكك من اسم ملك من ملوك معين وكعادته تلك وضع فراغا في نهاية قائمة الاسرة الرابعة وانهى حكم هذه الاسرة سنة ٦٧٠ ق.م ، ثم عاد ليتحدث عن اسرة خامسة وضع لها قائمة ابتداها (يتع ايل ريام) ومن بعده ابنه (تبع كرب) الذي حكم معين سنة ٦٥٠ ق.م ولمدة عشرين عاما .

ولقد اختلفت قائمة (فيليبي) عن قائمة (البرايت) كما اختلفت قائمة (ركمنز) التي نشرها عام ١٩٥٣ م عن قائمة اولئك العلماء والسواح الذين زاروا منطقة الجوف اليمنية وهناك عثروا على ما عثروا عليه من نقوش وآثار ، حملوا منها كثيرا الى مكاتبهم ومتاحفهم وفكوا رموز بعضها بعد ان صوروه ودونوه ، فجاءت متضاربة مع بعضها ، بل واحيانا كثيرة كان الواحد منهم

يعدل كثيرا في قائمته حتى اخرجها على الصورة التي حاولنا سبكها هنا متجنبين التناقض والتضارب الذي حصل في مصنفاتهم تلك .. وقد جاءت قائمة « ركمنز » مرتبة ترتيبا اخر حسب تصوره وتقديره لها .

وقد افتتح (ركمنز) قائمته بذكر اسم ملك ورد اسمه في قائمة (البرايت) (وفيليبي) على الرغم من الاختلاف في ترتيب وتصنيف اسمه ووضعه في قوائم ملوك معين ، وهو الملك (اب يدع ريام) مع وضعه علامة الاستفهام عند اسمه. ثم تولى العرش بعده الملك (خل كرب صدق) وتوالت الاسماء لعدد من الملوك اوصلهم العلامة (ركمنز) الى احد عشر اسما مع ورود ثلاثة فراغات بين تلك الاسماء . وقد كان اخرهم الملك (اليفع يثع) والذي حكم في حوالي عام ٣٤٣ قبل الميلاد اثناء حكم الملك الحضرمي (معد يكرب) لعرش حضرموت (٤٦) .

ثم امسك بالطرف الثاني للمرحلة الثانية والتي ابتدات في القرن الرابع قبل الميلاد ليضع على راس القائمة الملك (اب يدع يثع) ملك معين في القرن الرابع قبل الميلاد . ثم يذكر من بعده اسماء خمسة ملوك وفراغين .

ثم تولى عرش معين بعد الملك (يثع ايل صدق) الملك المعيني (وقه ايل يثع) ومن بعده الملك (اليفع بشر) وهما ملكان حكما معين ابان حكم الملك القتباني (شهر يكل يهركب) (٤٧) وبعدهما الملك (حفن ريام) ليذكر اسماء سبعة من ملوك معين ، وليضع في تلك القائمة ولنسميها الثالثة ، اربعة فراغات ثم اختتم اسماء الملوك باسم الملك (حفن ذرح) .

ان هذا الاستعراض السريع لقوائم اسماء ملوك معين عند العلماء انما القصد منه اعطاء صورة للقاريء عن ملوك معين ذلك ان التتبع لآراء العلماء حول اسبقية هذا الملك او ذلك تبدو من الصعوبة بمكان لان العلماء مضطرون لوضع قوائم جديدة في كل فترة من الزمن ، فما يهمنا من دراساتنا للتاريخ القديم هو مجموع تلك القضايا التاريخية الهامة كالحكم على نوعية النظام في تلك الفترة وتحديد زمن قيام الحضارة اليمنية والمعينية بالذات لنتعرف على تأثيرات حضارات تلك الفقرة على الحضارة اليمنية ، ولنعرف مدى عمق الحضارة اليمنية في تربة جنوب جزيرة العرب .

يقول ابن خلدون (ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة اجيال لان الجيل الاول لم يزالوا على خلق البداوة وعلى خشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد ، فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون .. والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترف ، من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة فتنكر سورة العصبية بعض الشيء وتونس منهم المهانة والخضوع ويبقى لهم الكثير من ذلك بما ادركوا الجيل الاول وباشروا احوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم الى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وان ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الاحوال التي كانت للجيل الاول على ظن من وجودها فيهم . واما الجهل الثالث فينسون عيد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما يبتغونه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالا على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمرافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة » (٤٨) .

اسباب سقوط دولة معين :

ان تاريخ الانسانية منذ بدأ ازدهار الانسان وبعدتكون الدولة وتحوله من مرحلة المشاعية الى مرحلة اعلى وارقى ، والتاريخ يحمل لنا اخبار كثير من الحضارات الانسانية العظيمة،والتيقامت وازدهرت فوق النصف المعتدل المناخمن المعمورة ، سواء تلك التي شيدت في الشرق او الاخرى التي ارتفع بناؤها في الغرب ، قبل الميلاد او بعده ، وفي مرحلة العبودية او بعدها . ولقد قامت تلك الحضارات بفعل خصائص معينة ولاسباب عدة ونتيجة عوامل محددة ادت الى قيامها وازدهارها ونهضة شعوبها وتمدن امهما . ولعب عمل الانسان وحركته

وقدراته وفعالياته الخلاقة الطبيعية الدور الاساسي في تلك العوامل الجزئي منها والكلي والتي ادت الى قيام الحضارات العظيمة انذاك .

قامت تلك الحضارات نتيجة عوامل كما تحطمت بفعل عوامل واسباب جزئية وكلية ، خاصة وعامة ، فرضت نفسها عليها كرها وتعسفا ، فادت في النتيجة الى انهيار جزء من حضارة الانسان . ولقد تحطم ، كما بني ، لمجموعة اسباب فرضتها ظروف موضوعية وذاتية خاصة بكل حضارة على حدة من ضمن تلك الحضارات اليمنية وعلى وجه الخصوص الدولة المعينية والتي كان لها مجدها وازدهارها .

فلقد مرت عليها مرحلة تدهورت مدنيتها وتحطمت حضارتها نتيجة عوامل عديدة بعضها موضوعي ويتعلق بالظروف والاوضاع المحيطة بها سواء اكانت تلك الحملات العسكرية او ذاك الضغط الاقتصادي التجاري والذي مورس عليها قبيل انحلالها في الدور الثاني من عمرها ، فعلى رأي (ابن خلدون) والجيل الثاني تحول حالهم بالمالك والترفه من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد الى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانة (٤٩). فلقد اغرت هذه الوضعيه المترهلة المنغمسة في ترف العيش بسبب ذاك الانتعاش التجاري والعمراني والدول المحيطة بمملكة معين — قتبان من جهة الشرق الجنوبي ، وحضرموت من ناحية الربع الخالي الممتد الى الجوف اليمني وسبأ من الغرب — ان تمارس عليها ضغوطها التجارية في البداية ثم السياسية والعسكرية فشهدت الساحة اليمنية صراعات عنيفة اقتصادية الهدف منها تحطيم مركز معين التجاري لكسر احتكار التجارة اليمنية والعربية التي كانت في ايدي المعينيين لفترة طويلة من الزمن وكان من نتائجها نوع من الاستكانة والخنوع ابعد المعينيين عن خلق البداوة وخشونتها المطلوبة آنذاك للحفاظ على تمدن معين وازدهارها ولرد هجمات اعدائها المحيطين بها .

لقد لعبت العوامل والاسباب الذاتية دورا بارزا في تحطيم تمدن معين وازدهارها فبعضها كان نتيجة لما وصل اليه ملوكها وكبار زعمائها والبعض الاخر بسبب ما انتجه ذاك الترف والغنى من تفسخ في نفسية المجتمع وخلود الى السكينة والدعة في واقع قبلي يحيط من كل الجوانب ينظر شزرا الى رفاهيتها وغناها . ويقول مؤسس علم العمران العلامة ابن خلدون (وذلك ان الامة اذا تغلبت وملكت ما بأيدي اهل الملك قبلها كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوائدهم يتجاوزون ضرورات العيش وخشونته الى نوافله ورقته وزينته ويذهبون الى اتباع من قبلهم من عوائدهم واحوالهم ، وتصير لتلك النوافل عوائد ضرورية من تحصيلها وينزعون مع ذلك الى رقة الاحوال في المطاعم

والملابس والفرش والانية ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الامم (٥٠). فقد انغمس شعب معين في ترف العيش كنتيجة طبيعية لانتعاش الحياة المعاشية وازدهار الحياة الاقتصادية والتي اعتمدت بشكل اساسي على التجارة وكانت الزراعة والتعدين رافدين اساسيين لها . فقد وجد علماء الآثار والباحثون في (الخربة السوداء) في موضع (نشن) آثارتعدين وصناعة ذلك انه وجدت ادوات استعملت في التعدين وفي تحويل خامات المعادن الى معادن مصنعة .

كما استعمل شعب معين النقود في حياته التجارية بدلا من تلك المقايضة العينية ، فدفعت حكوماته اجور عمالها وموظفيها بالعملة النقدية التي ضربت داخل معين كما يقول لنا علماء الآثار والذين وجدوا تلك النقود وبعض القطع النقدية (دراخما) (٥١) اي درهم وعليه صورة ملك يجلس على عرشه وقد وضع رجليه على عتبة حليق الذقن مدليا ضفائر شعره على كتفيه وفي يده اليمنى وردة او طير وفي اليسرى عصى طويلة وخلفه اسمه وقد طبع بحروف المسند في ايام الملك المعيني (اب يثع) (٥٢) والذي تولى عرش معين حسب تقديرات (البرايت) سنة ٣٤٣ ق.م على اساس انه هو الملك (اب يدع يثع) . اما ان كان اسم ملك من ملوك معين تولى عرشها قبل الميلاد بمائة وخمسة وعشرين سنة فهو الملك المعيني (اب يكرب يثع) وفي ايامه استعمل الناس في معين العملة تلك في تجارتهم الداخلية والخارجية . وشعب قد وصل من التقدم الحضاري الى حد استعمال النقود لا شك قد بلغ مرحلة متقدمة من التقدم والتحضر يحمله الى ان يستسلم الى السكون والدعة ويؤثر على التحصيل والراحة ليستمتع بأحوال الدنيا كما يؤثر الاسترخاء على المتاعب والشدة في العيشكما هي حال ملوكه ورؤسائه وكبار قبائله وزعمائهم . ودولة يكثر فيها الترف لا شك وان صاحبها سيحتاج الى الزيادة على حد تعبير العلامة ابن خلدون (اذا كثر الترف في الدولة وصار اعطاؤهم مقصرا عن حاجاتهم ونفقاتهم احتاج صاحب الدولة والذي هو السلطان الى الزيادة في اعطياتهم حتى يسد خللهم ويزيح عللهم ، والجباية مقدارها معلوم ولا تزيد ولا تنقص ، وان زادت بما يستحدث من المكوس فيصير مقدارها بعد الزيادة محدودا فاذا وزعت الجباية على الاعطيات وقد حدثت فيها الزيادة لكل واحد بما حدث من ترفهم وكثرة نفقاتهم نقص عدد الحامية حينئذ عما كان قبل زيادة الاعطيات،ثم يعظم الترف وتكثر مقادير الاعطيات لذلك ، فينقص عدد الحامية وثالثا ورابعا الى ان يعود العسكر الى اقل الاعداد فتضعف الحامية لذلك وتسقط قوة الدولة (٥٣) » ان هذا العامل الذاتي والذي تمثل في بذخ الملوك المعينيين وصرفياتهم الكثيرة وترف ذلك الشعب وانغماسه في الحياة الرغيدة وانصرافه عن السعي لمزيد من البناء والتعمير والتحضير قد اطمع جيرانه فيه فلم يعد قادرا حتى عن الدفاع عن نفسه والذود عن ارضه .

لقد صرف ملوك معين جل اهتمامهم الى تعمير المدن وتوسيعها فابعدهم ذلك عن روح البداوة والاعتداء على ممتلكات غيرهم فقد انغمسوا في المدينة بتشييد المباني والقصور واقامة الابراج والمعابد ، حيث وصل في المدينة الواحدة عشرات من المعابد ليتمتع الاله الواحد بأكثر من معبد اذ كانت المعابد تقام للعبـــادة فقد قامت لتزيين المدينة مثلها مثل الكنائس في العصور الوسطى والمتاحف في عصرنا هذا .

كما قاموا باصلاح الابراج التجارية بالدرجة الاولى وحفروا القنـــوات وسوروا البيوت والمزارع ملائمة للترف وانسجاما مع التمدن والغنى كما ورد في الكتابة الموسومة (Halevy 353) كما عثر على كتابة وسمت ب (Halevy 542) (٥٤) وجاء فيها اسم الملك (فالكرب صديق) دونها صاحبها بمناسبة تشييده لحصن وتسويره لمزرعة .

وعلى الرغم من ان التاريخ لم يبق لنا قصرا بعينه كقصر (غمـــدان) و (سلحين) لما تعرضت له مدن معين من دمار واحراق على يد ملوك قتبان وسبأ الا ان مجمل الوقائع التاريخية التي دونت في النقوش والتي تشير الى ما اشاده المعينيون من مباني وقصور خاصة وعامة هي التي تكون لدينا الصورة عن مدن معين والتي بقيت صورتها عبر التاريخ في كتب المؤرخين ، فقد ورد عند الهمداني ذكرها والذي اتينا عليه سابقا كما نسمعه يقول : (واذ ذكرنا معين في هـــذا الموضع فانا نذكر ما بالجوف من الآثار والعمور ونذكر ما هي اوصاف الجوف وبلدها وظاهرة وبلد شاكر صفة الجوف : عمران وهو لنشق وبيت غران والخربة البيضاء الحشاشية والخربة السوداء بالشاكرية ، ثم معين وبراقش كما وردتا لنشق . (٥٥) ان مثل تلك المدن والتي بقي ذكرها لفترة طويلة من التاريخ ولا شك وانها قد نعمت بغنى وترف عظيمين خاصة وانها لم تستنزف قواها وغناها في حروب مع الاهل والجيران ولم يكن امامها بدل الحرب غير العمران والبناء والانغماس في الغنى الذي تمثلته مدينة (براقش) فضرب بها المثـــل وتداولت اسمها الاجيال كمثل لاية مدينة تنغمس في وافر من العيش الرغيد فقيل علـــى « اهلها تجنى براقش » (٥٦) بصرف النظر عن تحريات الاخباريين لهذا المثـــل نما يبدو منه ان (براقش) المعينية قد جنت على اهلها ونفسها نتيجة للغنى الذي نعم فيه المعينيون والذي كان السبب في اطماع الممالك المجاورة .

لقد جنت (براقش) كما جنت بقية مدن معين على نفسها واهلها ، فتحطمت براقش كما تحطمت مدن معين ومملكتها التجارية العظيمة . لقد كان وراء سقوط معين عدد من الاسباب الذاتية والتي وردت سابقا وهي انجذاب شعبها الى لغنى والرفاهية وانغماس ملوكها وكبار رؤوسها في الترف والبذخ وانصراف

الدولة الى تلبية حاجيات الملوك في الصرف والتبذير مما الهاهم جميعا شعبا وحكاما عن جيرانهم والمتربصين بهم والطامعين في تجارتهم وارضهم فاداروا ظهر المجن « وجنت على نفسها براقش » . كما كانت هناك اسباب موضوعية خلقتها تلك العوامل الذاتية . فتلك الدولة التي تسقط قوتها على حد رأي ابن خلدون يتجاسر عليها من يجاورها من الدول او من هو تحت يديها من القبائل .

لقد هز موقع معين الاستراتيجي ذاك ملوك سبأ فنزل الملك (سمة على نيف) ليبسط يده على معين وليتمم مشواره ذاك ابنه الملك (يثع امر بين) والذي تمكن من معين كلية واخضعها لسلطان سبأ كما جاء في الكتابة الموسومة ب (Philby 77) (٥٧) وفيها شرح مفصل لحروب ذلك الملك،والذي اخضع جميع قبائل مدن معين لحكم سبأ ولم يكتف بما هو تحت يده بل لقد توسع في فتوحاته حتى نجران . ولقد جاء ذاك التوسع كنتيجة طبيعية وحتمية للانهيار الذي حصل لمعين وشعبها وملوكها ، لقد جر ذاك الانهيار نفسه ليس فقط على سكان المدن والقبائل المعينية . فلقد اوقع الملك السبئي (يثع امر بين) بقبيلة (مهأ مرم) أو (أمرم) النجرانية خسائر كبيرة فقتل منهم قرب نجران زهاء خمسة واربعين الف رجل واسر ثلاثة وستين الف اسير وغنم الالاف من الماشية والابل ، ودمروا وحرقوا عددا من المدن والقرى هناك .

ولم يقف عند هذا الحد بل واراد ان يلقن المعينيين درسا لا ينسوه حين دمر كل مدنهم التجارية واحرق كل قراهم الزراعية .

لقد ارجع الملك السبئي (يثع امر بين) المعينيين الى حياة الخشونة بعد ان خضعوا للترف وانغمسوا في بحبوحة الغنى والمدنية ، وليحل محلهم قوم اولو بأس شديد وقد تم له ذلك بعد ان دمر واحرق كل مدن (رجمة) واصاب مدينة الملك (عذرايل) بنيران غضبه فدمرها كما دمر اكثر مدن المملكة وقراها ومدن نجران وقراها ، ولم يبق من مملكة معين غير قبائل عادت الى خشونتها وبداوتها مرة ثانية واستمرت مهجورة الا من بدو متنقلين .

ان تلك الظروف الموضوعية التي فرضت على معين وشعبها الى جانب تلك الاوضاع الذاتية التي ساعدت ومكنت مجمل الظروف الموضوعية ان تحكم قبضتها عليها قد اخضعت واركعت معين في نهاية المطاف لقتبان ثم لسبأ ، وعملت على تحطيم مملكة معين وحضارتها ذلك ان ذلك الترف الفائض عن الحاجة قد جر معين من قرنها الى الهاوية ، فارتمت في قاع التاريخ ناسية منسية لا يعرف احد من امرها شيئا ، على الرغم من ترديد امثلتها الشعبية (فبراقش) التي جنت على نفسها لم تجن فقط على حضارتها تلك بأن حطمتها كنتيجة طبيعية لترفها المستفيض ذاك ، بل لقد جنت على نفسها حين دكت حضارتها واصبحت ديارها

قاعا صفصفا اللهم الا من بقايا خرابات قابعة في جوف اليمن حتى يومنا هذا .

اننا ننبش اليوم التاريخ ونحن ندرك قصور معلوماتنا وبساطتها لنذكر الانسان اليمني بمملكة من ممالك حضارته جهل التاريخ عنها ، كما جهلنا ، الشيء الكثير ، وبقيت كل معلوماتنا التي حصلنا عليها من النقوش ومن الكتب عرضة للتغيير والتبديل وكل تاريخها للشك والحذر والريبة ذلك (ان براقش جنت على نفسهـــا) .

تلك هي نبذة عن مملكة معين اليمنية قدمتها في هذه الدراســة كأساس مادي في اعادة صياغة التاريخ لا على اساس انه مجموعة احداث ووقائــع متناثرة بين النقوش بقدر ما هي عملية يجب ان تكون متكاملة الجوانب لاستخلاص ما نريد ان نستخلصه وننتفع به في حاضرنا هذا فالتاريخ ان لم تكن الكتابة فيه بقصد ايجاد حركة غريلة للامور والاحداث القديمة فانه يصبح عديم الاهميــة والفائدة .

مصادر البحث :

١ ــ **الحكمة** اليمنية العدد الخاص ، « ندوة الحضارة (٣٨) » .

٢ ــ الهمداني . **صفة جزيرة العرب** . طبعة جديدة ، تحقيق الاكوع .

٣ ــ **التوراه** . التكوين العاشر . الاصحاح الخامس والعشرين .

٤ ــ **الاكليل** . ج ٨ ، ص ١٢٤ ــ ١٢٦ .

٥ ــ المصدر السابق . ص ١٢٨ .

٦ ــ محمد توفيق . **آثار معين في جوف اليمن** . منشورات المعهد العلمي الفرنسي .

٧ ــ **التوراة** . الاصحاح الرابع . اخبار الايام الاول .

٨ ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ٧٥ . ولنستون . **تاريخ اللغــات الساميــة** . ص ١٧٦ ــ ١٧٧ .

٩ ــ محمود كامل المحامي . **اليمن شماله وجنوبه** . ص ٦٧ .

١٠ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ١٢٢ .

١١ــ **ملفات ندوة الحضارة اليمنية** . فبراير . عــدن .

١٢ــ المصدر السابق . **محاضرة بعدن القاها البرفسور بيستون** .

١٣ــ احمد سوسه . **العرب واليهود في التاريخ** . ص ١٣٤ ــ ١٣٦ .

١٤ــ جرجس زيدان . **العرب قبل الاسلام** . ص ١٣٣ .

١٥ــ **الحكمــة** (اليمنية) . العدد ٣٨ .

١٦ ــ المصدر السابق . عن **محاضرة القاها البروفسور بيستون بعدن .**

١٧ــ المصدر السابق . عن محاضرة Doe, D. Brian. Southern Arabia. P. 67 .

١٨ــ **المفصل** . ج ٢ ، ص ٨٣ .

١٩ ــ **الموسوعة البريطانية** . ج ١ . ص٣٧٠ . **ومجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** . العدد (٤) . ملحوظة موجودة عينة عنق زجاجه في المتحف الوطني بعدن ويبدو انها من الواردات الى اليمن في تلك الفترة من لبنان وسواحل البحر الابيض الغربية .

٢٠ــ **مقدمة ابن خلدون** . الفصل الخامس عشر .

٢١ــ **المصدر السابق** .

٢٢ــ المصدر السابق .

٢٣ــ نقوش في صخرة (مروح) المقله . المحافظة الرابعة .ج.ي.د.ش. . صورت ونشرت . Doe, D. Brian. Southern Arabia. P. 69 .

٢٤ــ بافقيــة . **تاريخ اليمن القديم** . ص ٤٨ .

٢٥ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ١٢٤ .

٢٦ــ بافقيــه . **تاريخ اليمن القديم** . ص ٤٨ . Doe, D. Brian. Southern Arabia. P. 67

٢٧ــ **المفصل** . ج ٢ ، ص ٢٠٨ .

٢٨ــ المصدر السابق . ج ٢ ، ص ٢٨٣ .

٢٩ــ المصدر السابق . ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

٣٠ــ المصدر السابق . ج ، ص ١٧٦ . (محمد توفيق) . **وانار معين في جوف اليمن** . ص ١٦ .

٣١ــ حزقيــال . **التوراة** . الاصحاح السابع والعشرين . **الاية ١٥ ــ ٢٣** .

٣٢ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ٨٢ .

٣٣ــ المصدر السابق . ج ٢ ، ص ٧٦ . ومراجع اخرى .

٣٤ــ با فقيــه . **تاريخ اليمن القديم** . ص ٣٦ .

٣٥ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ١٠٩ .

٣٦ــ المصدر السابق . ج ٢ ، ص ١١٠ .

٣٧ــ **آثار معين في جوف اليمن** . ج ٤ ، شكل ٨٣ لوحة ٤٠ . خليل نامي . **نقوش خربه معين نقش.** رقــم ١٧ .

٣٨ــ المصدر السابق .ص ٥ ، شكل ٤١ / لوحة ٢٢ نقش رقم ١٧ . **خربة معين** . ص ٢١ ــ ٢٩ . نقش رقم ١٩ ، وقد ورد اسمه تقسم

٣٩ــ **تماثيل في المتحف الوطني** . عدن . **آثار معين في جوف اليمن** . ص ٢١ ، رسوم .

٤٠ــ **آثار معين** . ص ٤ .

٤١ــ المصدر السابق .

٤٢ــ **معجم البلدان** . ج ٢ ، ص ٩٩ .

٤٣ــ **المفصل** . ج ٢ ، ١١٠ . Doe, D. Brian. Southern Arabia. P. 69

٤٤ــ با فقيه . **تاريخ اليمن القديم** . ص ٣٧ . ٣٤٢ .

٤٥ــ **المفصل** . ج ٢ ، ص ٩٤ ــ ١٠٥ .

٤٦ــ نقش صخرة « مروح » بالمتلة اوردها . با فقيه . **في كتابه تاريخ اليمن القديم** .

٤٧ــ با فقيه . **تاريخ اليمن القديم** . ص ٣٨ .

٤٨ــ **مقدمة ابن خلدون** . الفصل الرابع عشر .

٤٩ــ المصدر السابق .

٥٠ــ مقدمة ابن خلدون . الحادي عشر .

٥١ــ نقود يمنية في المتحف الوطني . عدن .

٥٢ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ٩٤ ــ ١٠٥ .

٥٣ــ **مقدمة ابن خلدون** . الفصل الثالث عشر .

٥٤ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ١٠١ .

٥٥ــ الهمداني . **صفة جزيرتي العرب** . ص ١٦٧ .

٥٦ــ مثل يمني متداول . اورده الدكتور جواد علي في موسوعته **المفصل** .

٥٧ــ د. جواد علي . **المفصل** . ج ٢ ، ص ٢٨٥ .